عندما جلستُ أكتب

بكر أبوبكر



دار الأمين للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

عندما جلستُ أكتب

عندما جلستُ أكتب

بكر أبوبكر/مؤلف من فلسطين

الطبعة الأولى 2022م

الطبعة الثانية 2025م

دار الأمين للنشر والتوزيع

رام الله-فلسطين

970568549769+

daralamin2010@gmail.com

بكر أبوبكر

عندما جلستُ أكتب

دار الأمين للنشر والتوزيع

الفهرس

مقدمة:

في هذا الكتاب (عندما جلستُ أكتب) وبعنوانه للطبعة الأولى (هل هكذا أفهم؟) حاولت أن أقدم مجموعة من التجارب الذاتية ذات الطابع الشمولي المتعلق باعتقادي بنظرات قد تكون ذات صلة بعلم النفس الاجتماعي أو علم الاجتماع التنظيمي والسياسي.

ومن ذلك ما يتعلق بالنفس البشرية، ومكنوناتها، وخلجاتها، والحديث (الخطاب) والصمت، والاتصالات وبناء العلاقات مع الذات وبين الناس.

وما يرتبط بكل ذلك من مباديء وأخلاق وقيم ومسلكيات مختلفة نحاول أن نفهمها، ونكرّسها في عملنا وحياتنا بكافة تفاصيلها.

إن مساحة الحوار مفتوحة كما الحال مع تناقضات النفس وصراعاتها، وبين المجموعة والجماعة ما يستدعي العمل الدؤوب والمجاهدة أوالجهاد بكافة أنواعه لقطع المفازة وتحقيق السمو والعلوّ بالعلاقات مع الخالق ومع الذات وسواء الثنائية، أو الجماعية ما بين كافة الدوائر التي تحيط بك كشخص.

وعليه أقترح القراءة من السطر الأول الى الأخير ضمن العناوين تباعًا لمن يرغب، أويمكنك اختيار عنوان تراهُ باللحظة الآنية قريب الى نفسك ويماثل ما قد تشعر وتحس به لتقرأه لعلّك تجد الفائدة أوالسلوى على الأقل، أو لعلك ترتبط وتكتشف الجديد في ذاتك ونفسك فتفهم كما حاولنا أن نفهم، وتتعرف عليها أكثر وتحقق المراد.

(عندما جلست أكتب) دوّنت –على فترات-بعشق وحرارة، بمحبة وانفتاح، وأحيانًا بمزيج من القلق أو الغضب أو الشعور بالمرارة والأسى والأسف، بعضًا من المواضيع ذات الصبغة الخاصة-من تجاربي- وأيضًا العامة التي فيها ما يمكن الأخذ به للقدوة أو العبرة أو التفكر والتأمل والبحث والتمحيص أوبمسار تلقّفه بالنقد والنقد الذاتي سيان، وذلك في العام 2022 غالبًا مع بعض أضافات قليلة من الأعوام 2023-2025م بحدود 11 مادة فقط لأن هذه الفترة كانت حُبلى بالمآسي وكارثة نكبة فلسطين الثانية وغزة والإفناء والإبادة الجماعية ما جعل للمقال السياسي والفكري الاولوية على هذا النمط بكتابنا هذا.

في هذا الكتاب ولتكثيف الحرص على التواصل بكافة أشكاله مع القاريء الكريم لجأنا لمجموعة من الآيات القرآنية ذات الصلة، وأقوال المسيح عليه السلام، وأحاديث رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم. كما لجأنا لأقوال عدد من الشخصيات والكُتاب المؤثرين من عرب وأجانب لعلنا بها نستفيد ونتمكن وننجو وننتصر.

وبالنسبة لي يظل السؤال الحائر: هل هكذا أكون أفهم؟ أم قد فهمت؟ أم مازلت أتعلم لأفهم؟

بكر أبوبكر

كيف قدّمتُ الامتحانَ ونجحت؟

قبل امتحان الأحياء في الثانوية العامة (التوجيهي) سهرتُ حتى الصباح وأنا جالسٌ على الأرض أقرأ وأتصفح وأحفظ وأدوّن الملخصات وأرسم الأشكال وأنا قلِق... بل في قمة القلق، متوقعًا (هي بالحقيقة راغبًا) أن تثور الزوابع أو العواصف فتجعل من الجوّ قاتمًا مغبرًا هادرًا، ويتأجل الامتحان! ولكن صوت المؤذن ارتفع ولم يحصل أي شيء مما رغبته وأردته.

حالة الترقب للامتحانات النهائية قبل شهر تقريبًا كانت تثير فيّ حالة القلق ربما الى الحدّ الأقصى مصحوبة بالتوتر والذي كنت أقضي عليه بحديث النفس المريح بالقول أنه مازال أمامنا وقتٌ!

لكن الحقيقة أن عدّاد الوقت في ذهني بدأ يتكتك متجردًا من حذره! بمجرد الاعلان عن جدول الامتحانات وصولًا ليوم امتحان مادة الأحياء التي رأيتها صعبة جدًا لما فيها من ضرورات حِفظ عن ظهر قلب لم تكن من مميزاتي.

التمنّي بحصول العواصف أو الزوابع والتعلق بحدوث كارثة من أجلي! لم تتحقق، رغم أنني تخيلتها مرارًا خاصة ليلة الامتحان.

القلق والانشداد كان يساورني طوال أكثر من شهر، ثم طوال أيام سبقت الحدث ثم في اليوم السابق المباشر وهو أصعب الأيام الى أن جاء يوم الفصل وهو يوم الامتحان-خامرني شعور وأنا أكتب الآن ماذا لو كان حالنُا هكذا ترقبًا ليوم الدينونة اليوم الآخر(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا-النبأ 17)-فلم تكن للزوابع أو العواصف أي مكان.

جرجرتُ نفسي الى قاعة الامتحان بالمدرسة مشدودًا للحظة، وراغبًا في إنهاء الحالة العصبية النفسية التي رافقتني طوال الفترة وهو ما حصل عندما نظرتُ الى الاسئلة فتهلّل وجهي وفرحتُ حتى أنهيت الإجابات في أقصر وقت مما توقعت.

لم أعتد الاحتفال بالنجاحات الصغيرة-ولا حتى الكبيرة- لا أدري لماذا؟ رغم أهميتها في تفعيل الشعور بالحُبور والفرح والانجاز، وفي تقبل الثناء بل وفي الدفع والحفز، ورغم أنني بعد تلك الحادثة وعندما بدأت أفهم وأعِي بعمق للكثير من المفاهيم الجديدة التي دخلت على ذهني ما بعد انهاء دراسة الهندسة المدنية وانشغالي بالكتابة أوالتثقيف والتدريب، إلا أن مكوّن استجلاب القلق، ثم معاقرة القلق والترقب بل والتوجس ومن ثم الانفكاك من الحالة ظلّ مقيمًا.

ألّفتُ أكثر من عشرين كتابًا، وعقدت آلاف الندوات والورشات واللقاءات والدورات في طول البلاد وعرضها، وخارج فلسطين ما قبل وطء أرض الوطن المقدس، وبعده ذلك. ولم تفارقني أبدًا حالة الترقب والقلق وحالة الخوف... دعني أقول التي تتملكني أحيانًا الى حدّ العصبية التي تظهر في بضعة مواضع وأحاول أن أكتمها في مواضع أخرى وبالحقيقة قد تظهر مع أقرب المقربين لي مفترضًا تفهمهم! وأكتمها ولا تظهر-أو هكذا أظن- مع الأباعد من الجمهور العريض لكنها مستقرة.

تعلمتُ ربما من خلال المسيرة وأحداث الحياة الكثيرة أن أركّز تفكيري في النتيجة، وأتخيّلها ضمن احتمالات (سيناريوهات) متعددة، ولم أنفك أتخيل عيشي للّحظة القادمة بشكل مسبق. عوضًا عن قيامي بزيارة ميدانية مسبقة لمكان الحدث ذاته، وكل ذلك وغيره الكثير ضمن حالة الاستعداد النفسي الذاتي لتجاوز المِحنة الداخلية الذاتية التي أتعمد إخفائها عن المحيطين... فأنا بالحقيقة أعيش في امتحان-تحدي دائم.

لا أكمل التحدي/الامتحان الأول حتى أدخل في الثاني، الى الدرجة التي يصبح الامتحان واقعًا أمامي لأتجاوزه، ثم سرعان ما أمهد للّاحق واستجلبه! وعندما يتحول الى حقيقة مخطّط لها أي أن الامتحان-الحدث قادم حتى تعود متوالية القلق والترقب ثم تمني الزوال ثانية! فبلوغ النتيجة والتحقق للحدث... وهكذا في عملية متواصلة، وكأنني أنشدُ ذلك دومًا دون أن أدرك. أو كانني أَلِفتُ القلق والوجع ثم الراحة، ثم القلق... ساعيًا له متحديًا له الى ما لا يُحصى من المرّات.

اعتدتُ كتابة المقالات والدراسات والمدوّنات، فلم يعد فيها كثيرًا من لذة الامتحان/التحدي أوحالة الترقب للنتيجة وما يخالطها أو يتلوها من الإشادة أو النقد، ثم اعتدت اللقاءات والاجتماعات (والتجهيز المادي والعقلي والنفسي المسبق لها) فلم تعد تشكّل تحديًا ضخمًا لي إلا ما قلّ، وعليه سارت عملية الدورات وسارت الورشات التربوية أو التعبوية ليتقلص حدّ التحدي عند ضرورة الظهور بأبهى صورة وأنصع فعل أؤديه ضمن فن العرض والحديث والإلقاء ما كتبت فيه كتابًا كاملًا صدر لي منذ فترة، وذلك إرضاء لله سبحانه وتعالى كما أردّد دومًا، ولهدفي في فلسطين وتحقيقًا لضرب النموذج أمام الآخرين.

يخامرُني شعورٌ أن سعيي الدائم للظهور بمظهر متكامل هو بحقيقته قد يكون مكوّن نقص فلا انسان كامل، أو هو شعور عميق بالواجب، ولربما يكون أنانية (نرجسية)...مازلت أفكر وأتأمل في ذاتي.

إن عملية صنع الحدث تُماثل القيام بأي عمل وإدارته وقيادته من تخطيط وتنظيم وتنسيق وقيادة ومتابعة وتقييم، وكلها عمليات متصلة تستهلك جهدًا عصبيا وجسديًا ونفسيًا كبيرا فإن لم تكن تتحلى بالايمان بالله ونصره، والايمان بقدراتك وقوة الهدف، ثم وضع القطار على السكة، فإن طريق

الانتصار تصبح صعبة... فلا ينفع معها قلق ولا أرق كما لا ينفع معها حالات الترقب وخوض التحدي فمن لا يعرف السباحة يغرق.

أَلِفْتُ لفترة طويلة عقد الدورات وورشات العمل ضمن أسس واضحة ومحددة -كما ذكرت- وهي أسسٌ تتطور دومًا، وذلك لتطور مكونات بناء هذه الأحداث والفعاليات عالميًا. فالعلم ليس ساكنًا وإنما ذو ماء متجدد لا يقبل الركود أبدًا فمن يركد يأسَن.

ونحن آلينا على أنفسنا ألا نأسن (نعفّن) أبدًا فنغتسل يوميًا بماء جديد ونطهّر النفس من كل النوازع السيئة وصولًا لتحقيق تحدي الامتحان أو التجربة من خلال جهاد النفس داخليًا وخارجيًا أو ما اعتدت على استعارة تسميته بالحرث في حقل الذات، وكتبت في فكرة الحرث والزرع والإثمار كثيرًا.

في اليوم السابق على انعقاد "مؤتمر فتح الفكر السياسي والوطني" في فلسطين وبمقر جامعة الاستقلال في أريحا 2021/12/18م وبمشاركة نخبة من المؤسسات والكوادر، كنت في قمة القلق والتوتر والأرق الذي حاولت معه أن أصل لحالة التجاوز عبر أساليب كثيرة ناهيك عما حصل بالحقيقة طوال شهور مضت مما سأبينه.

المهم أنني في اليوم السابق للفعالية-التحدي-الامتحان، أي يوم المؤتمر وبعد أن كانت كل التجهيزات اللازمة إداريا واتصالات...الخ قد تمت بالطبع ومن خلال فريق عمل متوازن ومتعاون وجميل، قمت بالانشغال بالاعداد والتصليح والتنسيق لكتاب: "فن الاجتماعات والجديد" ما بين القراءة والتصليح والكتابة وأحيانًا الترجمة من مصادر أجنبية هي ذات عمق في طرح الموضوع وغيره لإغراق المدارس الأجنبية في التخصص بشكل مثير، وفي دعمها للبحث والدرس الى حدّ لا يماثله نظير في بيئتنا التي تأنس

من الاستقرار نحو فكرة ونقدّسها فتمر الأيام والدنيا تسير والأفكار تتغير ونحن ثابتون حول فكرة انهارت.

الفكرة الجامعة ذات الطابع النضالي هي عقيدة وطنية لا تزول فليس الحوار في هذه النقطة، فلكي لا يطبق أحد ما أقوله على السياق النضالي أؤكد أن السياق النضالي بأهدافه له من القداسة ما يرفعه لمنزلة العقيدة الدينية بمعنى أن استرجاع الأرض والتحرر من الطغيان والقضاء على الاستعمار والاحتلال والعنصرية عقيدة ثابتة المباديء لا تتغير إلا في أساليب الوصول ونوع الأحصنة والسيوف المستخدمة ...لكي لايذهب عقل أحدكم بعيدا اقتضى الاستطراد هنا.

بمعرض انشغالي -قبل يوم من المؤتمر- في تحرير كتاب فن الاجتماعات والجديد لصرف الذهن عن توتري الداخلي... تفكّرتُ بالمتغيرات التي من المفترض النظر لها بعناية واقتباس وأخذ ونقد في مختلف العلوم التجريبية والانسانية عامة، وعلى رأسها ما ننخرط فيه يوميًا من الشأن الإداري والتنظيمي والاجتماعي والنفسي وهو مربط الفرس في حديثنا هنا.

في اليوم السابق على فعالية أو مؤتمر حركة فتح والفكر السياسي والاجتماعي وبعد التأكد خلال أربعة شهور من حُسن سير العمل التحضيري وصولًا الى اللحظة الاخيرة انخرطت في تحرير كتاب فن إدارة الاجتماعات كما أسلفت، وكان هذا يوم جمعة وذلك من السادسة صباحا حتى آذان صلاة الجمعة الى الإكمال بعد الصلاة... وبالطبع كان للانخراط عامل تهدئة كبير جدًا لما يعتمل بداخلي، الذي يأتي لصرف الذهن باتجاهات أخرى بعيدًا عن توقع اللحظة بمعطياتها السلبية المحتملة... وهي مما أتخيله دومًا رغم الإعداد المسبق القوي دومًا.

لكنها النفس الانسانية الشغوفة التواقة لاتقان وإكمال العمل أي على أكمل وجه كما أوصانا سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

بالاتصال ببعض الأخوة للمتابعة وللتيقن والتأكد ما بين صفحة الكتاب الذي كنت أحررهُ والأخرى كان للروح التفاؤلية للاخ ماهر عطية (وأخوة آخرين) أن برزت حين اتصلت به، وكان لها من الشحنات التي احتاجها الكثير وهكذا هم الأصدقاء حقًّا، عوضًا عن أن الأخ ماهر هو بطبعهِ المتفائل ولا يتحدث عبثًا وإنما عن وعي، ما انعكس قليلا عليّ...شيء من الانفراجة.

في المسجد وفي محاولة لأن أقدم ما قد يجلب لي الحظ**!** تبرعت بالقليل من المال وهو دوما قليل مما أعطانا الله سبحانه وتعالى لإمرأة نشدت الدعم ففغر فاها من المبلغ الذي كان كبيرًا جدًا مقارنة بما وقع في الرداء المفرود بين يديها. عمومًا لم أكن أهتم بقيمة المبلغ بمقدار ما كنت أرجو واستجلب الرحمة والعون من الله تعالى بصيغة أخرى غير العمل الدؤوب والدعاء.

كنت أدعو من الله النجاح والفرج النفسي الداخلي، وحُسن سير الأمور فهل من المبرر أن أقول أنه لولا ما فعلتُ بالمسجد لما كان لي حظ من تذوق لذه النجاح؟

(كتبت في مذكراتي قبل يوم العبارة التالية: أتخيل زوال الغمة غدًا مساءً إن شاء الله)

قلت انني ذهبت لصلاة الجمعة والحمد لله وعدت لاستكمال الكتاب أي لحقيقة صرف الذهن عن القلق والتوتروالشدّ والترقب خاصة فيما يتعلق بالعدد من الحضور، وبما يتعلق بسلاسة تتابع الفقرات، وبما يتعلق بطرق إدارة الندوات أو المداخلات ضمن المؤتمر لأنني أعلم أن أعضاء التنظيمات السياسية العالمثالثية عامة ومنها الفلسطينية يدمنون مقاطعة أحاديث الغير

ويؤثرون الكلام تجاوزًا للوقت! ولا يتحلّون بفضيلة حُسن الاستماع أو التكثيف أو الاختصار وهي من الفضائل التي اكتسبتها مع فضائل أخرى عبر القراءة والوعي واكتساب المنهج والإرادة وتكرار التمرين والتدريب عليها، ولعلي أتقنتها أو أحاول.

المهم أن القلقَ العميق الذي كان يعتريني عملت على التخلص منه بعديد التقنيات والضروب -وكثيرا ما ألجا لبعض الآيات الكريمة أتبين فيها مخرجًا أو الأحاديث الشريفة، أو القصائد العربية الرائعة، أو القراءات الروحية والنفسية...أو صوت "أوركسترا فيفالدي" وأمثاله- عدتُ من المسجد وأكملت المشروع المعدّ للكتاب... وكان من أيام أن أعددتُ مشاريع أكثر من ثلاثة كتب شكّلت حصيلة سنوات وكلها بانتظار دورها للصدور.

نمت هذ ا اليوم ماقبل يوم الامتحان-التحدي على وقع أنني سأذهب غدًا من رام الله أين أقيم الى أريحا برفقة أحد الأخوة حيث أن قلق السفر سواء الداخلي أو الخارجي هو أيضًا مما يعتريني دومًا فأؤثر الرفقة أو الصحبة على الانفراد مما قد يكون من نواقص الشخصية أو مباهجها برفيق الطريق! وكما تقول العرب الرفيق قبل الطريق، ولربما به تكون النفوس توّاقه لقليل من الهدوء أو الامتزاج مع روح أخرى والانصراف بمشاغل اللحظة عن تلك اللحظات المترقّبَة.

المهم أن الأخ الكريم الذي كان من المفترض أن يأتي معي بالسيارة قد أقعده المرض فذهبتُ وحيدًا مما لم أرغب به.

كان الحدث أي انعقاد المؤتمر ولا أريد أن أحدثكم عن تفاصيله الشيقة هنا فهو قد أدى غرضه بعناصره المختلفه وحقق النجاح من مقاييس فنية وادارية وفكرية ونفسية عدة (لربما على الصعيد السياسي شأن آخر) فخرجت من

متتالية الاقتران بين استجلاب الحدث والقلق بصحبته، ثم مُعارَكَة (مقاتلة) القلق فصرعه للعودة ثانيًة للمربع الأول وهكذا بشكل مشاكس!

عبّر عديد الأخوة والأخوات أثناء الحدث/المؤتمر عن عميق الامتنان والشكر لما قمنا به من فعل (وأظننا كنّا بحاجة له) وأخص بالذكر من ذكرني بالاسم مثل الأخ العملاق عباس زكي والأخ روحي فتوح والأخت دلال سلامة، والاخ الزميل المتميز دومًا فهمي الزعارير وأخوة كُثُر ممن جاءوا لنصرة الحوار والديمقراطية في إطار الحركة الجامع وعبر الفضاء الذي نفترض أننا أتحناه للحركيين ونعمل على ديمومته الى جانب الدراسات التي نقدمها والى جانب الورشات والدورات المتصلة.

"لقد رأينا المخرج للعمل ممثلًا بشخصك بوضوح... في كل فقرة وحركة وسياق وجملة بالبرنامج، وكأن لمساتك المباشرة وغير المباشرة أبت إلا أن تظهر"

حجم الانفعال الايجابي من الأقربين والأباعد من الجمهور كان كبيرًا، وما بين العتب على عدم الدعوة للحضور من البعض، الى الأمنيات بالاستمرار والرغبة بالتقديم للكثير وجدت عددًا من الأخوات والاخوة قد كتب بحقي كلامًا كثيرًا لربما كان بحقيقته أحد الأهداف التي أسعى - نفسيًا وروحيًا- لها فمن منّا لا يسعى للاعتراف! ومن منّا لا يسعي للقبول! ومن منّا لا يسعى للثناء الحقيق ونوال الإعجاب أو الإشادة!؟ لما يطلقه ذلك من شعور بالتقدير واحترام الذات ولما له من حفز مستمر؟ ومن منا لا يعتقد أن سعيه لتحقيق حاجاته الأولية يقف عند حدّ الماديات أو الاجتماعيات؟ ولا ينظر لما هو أبعد منها من قضايا جمالية وانسانية وروحانية رائعة؟

نعم نحن كائن متشكل من كتلة من المشاعر المختلطة، لنترك الأفكار جانبًا الآن، وأحيانًا المشاعر المتناقضة، فالانسانُ كائنٌ عجيب بلا شك... ولست

أجد رغم قراءاتي العديدة الوصف الشامل لهذا الانسان بما يروي ظمئي المعرفي الا بما خُطّ في المصحف الشريف الذي فصّل الشخصية بأبعادها الكثيرة فكانت على طاولة التشريح الحقيقي، وممن نظر لهذه الزاوية بعمق عدد من مفسري القرآن الكريم الحديثين وبعض المفكرين الكبار.

يقول د.رجائي عطية كاتبًا عن الانسان وكتاب المفكر الكبير عباس محمود العقاد المعنون: الانسان بالقرآن، أن "الأسئلة التى طالما راودت الإنسان، ولا تزال تراوده، يقدمها الأستاذ العقاد لكتابه وموضوعه..وخلاصة فلسفته ورأيه: أن هذه الأسئلة أسئلة لا جواب لها فى غير «عقيدة دينية».. عقيدة تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه، وصفوة إيمانه بغيبها المجهول!.. عقيدة تجمع له زبدة الثقة بعقله، وزبدة الثقة بالحياة.. حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان." مضيفًا "هذه العقيدة بنية حية.. قوامها دهور وأمم، ومعايش وآمال، ونفوس خلقت ونفوس لم تخلق. سبيلها جميعًا أن تهتدى إلى قِبلة واحدة تنظر إليها فتمضى قدمًا، أو تفقدها فى الأفق فهى أشلاء ممزقة كأنها أشلاء الجسم المشدود بين مفارق الطريق. العقيدة الدينية الجديرة بالرد على كل هذه الأسئلة والاستفسارات هى عقيدة القرآن."

ويقول المفكر عبدالله إدالكوس أن: "حقيقة الإنسان في التصور القرآني تتأسس على مبدأين متشاكسين، الأول يرجع إلى أصل الخلقة من ماء مهين، والمبدأ الثاني الذي يشكل الهوية الإنسانية، يكمن في أنه مخلوق مكرّم على سائر المخلوقات. وأما وجه تركيز القرآن على هاتين الحقيقتين معا، والاستمرار في تذكير الإنسان بضآلة وتفاهة أصله، إلى جانب تذكيره بالمكانة التي تبوأها، وبأهمية وجوده وخطورة الصفات النادرة التي ركبت فيه، والوظيفة التي كلف بالنهوض بها؛ فلأن رجل الحضارة الإنسانية في القرآن، هو ذلك الذي ربّي في ظلال هاتين الحقيقتين معا." كلام جميل وعظيم.

دعنا نتابع بعيدًا عن قليل من الفلسفة الجميلة والرؤية للمفكرين العقاد وإدالكوس لنقول إن رؤية الفرحة في وجوه الاخوان ثمنٌ عظيم لما يقوم به المرء وتحقيقًا أو ثمرة لنتيجة، والاستبشار بالأسارير المنفرجة من الأصدقاء مكافأة لا تقدر بثمن.

وأن تغمرك مشاعر المحبة والايمان واليقين لهو شعور لن يصله الا من كتب الله عليه السعادة بالدنيا والآخرة وفي كليهما تعبٌ سابق وجهد مضني وديمومة فعل متواصل محقق.

إن تفاعل الاخوان واحتضان عيونهم لك، وكلمات ثنائهم الصادقة لا تقدر بثمن... فما قيمة الأعمال إن كانت تشترى بدينار أو ألف دينار أو بهدية مادية (على أهميتها أوضرورتها أحيانًا) .... تنتهي بصرفها أو ببعثرتها بالأحرى.

وتظل قيمة اللمسة الحانية والكلمة الدانية والبسمة اللامعة والعيون الناضحة بالمحبة والجبين المنبسط بأساريره والوجه الطلق... تظل في الذاكرة حتى عندما تذوب العناوين وينكمش الحدث وتنتهي الكلمات.

العواطف والأحاسيس والنظرات والوشوشات واللمسات ....والكلمات الصادقة في وقتها تدوم بما هو أكبر بكثير من مكنونات الفكر والعقل.

والأن بعد النجاح في امتحان المؤتمر باعتقادي هل اكتفيت؟ بالطبع لا، لأنني أفكر كيف أعود لذات الأوالية المشاكسة من عمل يختزن القلق لأصارعه وأعاركه ثم أتغلب عليه، ولا أكتم سرًا إن قلت لكم ما قلته لنفسي قبل ذلك بنقيض ما سبق أن يكفي!


أكاديمية فتح الفكرية





من أسراري الخاصة

من أسراري الخاصة، بل والخاصة جدًا!

-يا ساتر!

-إنها أسراري التي آن الأوان لكشفها لك أنت.

-لماذا؟

- لأنني لم أعد أطيق صبرًا ولم أعد احتمل التجاهل! هي في تصريحي لك ب"لمن كنت أكتب" أو أُطلّ في كثير من زوايا البوح أوالنشر التي خلطت فيها بين النفسي والمجتمعي وبين الأنا والهو؟ مما كنت تسألني عنه.

-نعم صحيح، لمن؟

-صبرًا

-صبرنا.

-من أسراري الخاصة ما كتمته كثيرًا، هو فيما حاولت أن أحقنه فيّ، أو في الآخرين لعلهم يرون من الحقيقة ما أريد أو يقتربون من زاوية نظري أوعلى الأقل يطلعون على شذرات قلمي؟ وروحي فيسعدون! وأسعد بسعادتهم.

-نعم.

-ولكن لم أستطع بكل المقاييس التي استخدمتها أو الأساليب أن أجذب أوأقترب من المُراد أوالمختار

-هل تقصد شخصًا بعينه؟

-نعم صحيح، وربما أكثر

-ومن هو؟

-دعني أبتلّ بماء روحي، ودعني بحبر كلماتي أدخلُ في عمق الفكرة، فلا تُكثر من مقاطعتي ... فتكسر في روحي منصة الاعتراف

-سأدعك دون أن أقطع الحبل

-نعم. شكرًا لك. لقد حاولت على مدار سنوات طويلة ولعلها من الأعوام تتجاوز الثلاثين عامًا أن أجذب أو أن أقترب، أو ألفت النظر ولم أفلح!

-....

-هل تدرك كم يكون الألم شديدًا عندما يكون الحبُ من طرف واحد مثلًا؟

...

-أجب؟

-ما دمت سمحت لي بالكلام فأقول: نعم أدرك

-هو ذاك، فأنا أحبُ أن يمسّ رعاف قلمي شغافَ القلوب عامة، فيسعدون. وقلوب من أخصهم بالمحبة وأخص التخصيص قلب واحد!

-هل لي أن أقول من هو؟

-ولماذا الاسم والمعنى هو الأصل

-لانني قد أعرفه، وأنا مولع بالأسماء

-لا أظنك تعرفه

-إذن أكمل

-إن من أشد أسراري هي حواراتي التي ما كانت تنتهي إلا لتبدأ في محطة أخرى، وعليه فإن روحي المتحفزة أبدًا، ونفسي الطموحة، وعقلي الذي لا يتوقف عن الكلام، وتوْقي الأبدي لجذب انتباهه هو كان محركي الكبير، وعامل حَثّي وحافزي على الفهم والدرس والتطوير

-هل تأزمت من هذه العلاقة ؟

-هي علاقة متأزمة أصلًا، فالفارق كبير بالمنهج والتفكير والفهم، وتأزمت وفي الأزمة هذه من الرغبة غير المُلباة كانت الفرصة التي فتحت لي أبوابًا لم أكن لأطرقها في عقلي أو بين أحضان الكتب لولاهُ، هل تصدق ذلك؟

-لكن، هذا شيء جميل

-هو جميل بتطوري المعرفي الفكري نعم، ولكنه مؤلم جدًا عاطفيا

-لعلي أفهم...التناقض

-أو لعلك لم تفهم؟

-كيف؟

-يا أخي أنا في المسار الطويل تقلبت بين أخذ وردّ، وبين محاولات للفت وجذب الانتباه كبداية حيث استخدمت من الأساليب الكثير: منها العنيف بمحاولة اجباره على الاطلاع على مسار قلمي وتطلعات روحي، ولكني لم أفلح. ثم بمحاولة إشراكه بنسيج القلم ولا أمل، فاتخذت من الإضاءة أمامه ونثر الورود لعله يراني وأيضًا لم أفلح!

.....

- ولم أفلح أيضًا حين أهّلت له المساحة لعله فيها يجد من بين كومة النسيج مقطوعتي، أو هدير أنفاسي... ولكنه كان يتجاوزها أبدًا ولا يلتفت!

-هذا شيء مرهق جدًا

- إشاراتي المتكررة المباشرة وغير المباشرة لمدوّناتي ولمعجبيّ الكثر أمامه وفخرهم بما تضخه محطة روحي بحبرها، كانت محاولات أخرى فاشلة للفت نظره واستقبال غيث عيونه! وهذه أيضًا ما كان لها أن تجعله يطل عليّ من برجه العاجي أبدًا. روح هائمة لا تريد الاقتراب أو الاقتران!

-لم أفهمك جيدًا فهل كنت تتوق للاعتراف أم للحب أو للامتنان أم للتقديرأم الاقتران العسير؟

-كنت منه أتوق لنظرة ولكن متواصلة. أو لكلمة ولكن متواصلة. تدوم. أوللمسة حزينة متفاعلة أوودودة ولكن متواصلة! تشعرني بذاتي وتطفيء نار توقي!

-وهل حصلت عليها؟

-ما حصلت عليه كان أنني بيده صنعتُ نفسي، وبسببه أصبحت على ما أنا عليه

-كليًا؟

-بالطبع لا، ولكن بجزء كبير من سياقات قلمي ذات الطابع النفسي والروحي خاصة

-إذن لك أن تشكره، فأنت معه مثل حال فلسفة سقراط وزوجته الكئيبة!

-لقد حاولت في المسارالطويل، وغزير الانتاج، بين حدود روحي المفتوحة، وجدران روحه المغلقة إيجاد البدائل كثيرًا بأن أدمجته تارةً في نشاط الفكرة، واخرى في إضاءات القلم طالبًا المعونة أو التعليق او الاطلاع ولو على أسطر قليلة... فلم يكن لهذه الأسطر إلا أن تمحي من بين أصابعه أو لوح نظره المشتت، فلا يراها ولو كان المحيط لا يمتليء الا بها، هل تتخيل ذلك؟

-إذن سرّك فيه، وهو سبب الشقاء والنماء معًا.

-يمكنني أن اقول ذلك

-ولعل الالتفاتة أو الاهتمام أو نوع الكلام أو الحب الذي تطلبه ولم تحققه كان سيبطئ أو يوقف عملية الابداع لديك التي أراها يوميًا تنبجس من بين أصابعك والعيون فيما تقوله أو تكتبه؟

-لا أدري، ولكنني في معاناة قلمي وروحي وسرّي الكبير أتالم كثيرًا!

-فعلًا... أسرارك الخاصة مرهِقة، ولكن كيف تتغلب على مثل هذه المشاعر؟

-لقد أوجدت لنفسي صديقًا من ذاتي، أحادثه كما لا أحادثك، أعذرني فهو يفهمني بلا مناكفات كما تفعل أنت! بل هو يعينني على الفهم والتسامح ومزيد من نثر الورود ويسعدني.

-لن أسألك ثانية من هو شخصيًا، فالبئر عميق.

-نعم.

أنا وأشيائي الخاصة.

في حِصّة المشاعر أو كُتلها الكثيرة والمتنوعة والمتناقضة والمتشابكة فإن هناك الكثير مما يقال، والكثير مما يتم التعبير عنه أو لا يمكن التعبير عنه.

نحن نتكلم عن العواطف، عن المشاعر، عن الأحاسيس التي تنتاب الانسان أو تلك التي تفِده (تدخل إليه أي الى نفسه طوعًا أو كرهًا) فيفهمها أو قد لا يفهمها! ويحاول أن يفسّرها، سواء كانت من مكوّن خارجي أي خارج الشخص، أو داخلي ينشأ داخل الشخص، داخل النفس أو بتفاعل بينهما.

في منطقة المشاعر الإنسانية هذه لربما خبرتُ خمسًا منها، فرادى أوكتل مجتمعة، وأسميتها "أشيائي" التي لربما –أقول ربما-أستطيع التعبير عنها... لك أنت فقط!

بغض النظر عن رأي العلماء والفلاسفة، أصحاب المقام الأول بهذا المجال، فأنا أقول ما لديّ، ولهم أن يحلّلوا، وكذلك الأمر مع كل انسان إذ أنه هو مالك مشاعرِهِ والقادر علي التعبير عنها أوعدم التعبير عنها!

أدركتُ مشاعرًا أستطيعُ التعبير عنها، نعم، وهي المشاعر المرتبطة بالاتجاهين المضيء أوالمظلم في شخصيتي، وعرفتها ودرستها ولربما أقول فهمتها (وطوّرت فيها الكثير)، وأستطيع التعبير عنها (التصريح بها) بغض النظر عن المرسَل اليه/الطرف الآخر، والذي غالبا ما يكون أنا نفسي بمعنى أن المشاعر هذه أشعرها وأعبّر عنها لنفسي (الشخص الآخر المقيم في ذاتي)، وقد يحصل أن يكون لفئة ضيقة من الناس، كما الحال معك الأن بتوسع نسبي.

الكتلة الثانية من المشاعر أو الأشياء لدي هي المشاعر التي أشعر بها، ولكن لا أريد (لا أرغب) التعبير عنها، حتى لنفسي أحيانا! والمشتملة على الحنق أو الرفض العميق أو ربما الأسى أو فقدان الأمل، أو الاقتراب أوالمودّة من شخص مفروض، ما لا أودّ فقدانه (أو لا أرغب باقترابه أكثر رغم الودّ)، رغم عديد المحاولات التي لم تتحقق معها الاستجابة، فتكون المشاعر هنا مما لا أريد التعبير عنه، هل تراني أبقيها مدفونة بذاتي فقط؟

وهناك كتلة ثالثة خبرتها شعورًا، وهي كتلة مشاعر مختلطة متفاوتة الشدة كبيرة العمق، أتوه أحيانًا بإدراك كُنهها، وطبيعتها كما أنني قد لا أفهمهما أولا أفهمها جيدًا، فكيف أعبّر عمّا لا أُدرك أو لا أفهم؟ أولربما لا أفهمها لنقص ثقافي عندي أفقدتني الاستطاعة؟ هل تراني محقًا؟

أما الكتلة الرابعة من المشاعر فهي ما لا أعرف التعبير عنها، (أعرفها حسًّا ولا أعرف التعبير عنها لفظًا) فكما يستطيع الانسان التعبير(أوالتصريح سلوكًا) عن الحب أو التودد أو القرب أوالاعجاب أوالقلق أو الخوف أوالانسحاب أو الاقدام أوالهزيمة النفسية أو الضجر أو الملل أوالقلق أوالاكتئاب...الخ، فهناك مما لا أعرف كيف أعبّر-رغم رغبتي بالتصريح بها- عنها ولا تسألني ما هي؟ فأنا أعلمها (أحسستها مربوطة بحالة أو موقف) نعم، ولكنها ليست من القائمة المشاعرية المعروفة! فالمشكلة قد تكون بتحديدها وتسميتها وموضعتها بين الكتل والأنواع الأخرى.

الكتلة الخامسة هي كتلة النفس الرجراجة المتلعثمة المتذبذبة بين الصفاء والقتامة وبين الصعود والهبوط وبين القاسي والحاني. إنها ما لاأعرفها إسمًا، ولكن أحسستها واختلافها عن غيرها، ولأني لا أعرفها أصلًا فكيف أعبر عنها؟

هل مشاعري أو أشيائي هذه هي ذات النفس الإنسانية صعبة الفهم؟ العميقة والسهلة، البسيطة والمعقدة، المتغيرة والمترجرجة، وكأنها تمر علي مطبّات في مراحل حياتها، حيث تجد منها المتغيرات سواء المفهومة أو غير المفهومة؟

ولربما تكون التراكمات المتنوعة تعكس نفسها دون أن يكون هناك سبب أو أسباب محددة، وإنما لتراكمات كانت النظرة لها حينها مختلفة، لذا فالناتج النهائي قد يكون كيان نفسي آخر!

دعني أسألك أهكذا هي النفس على ما يبدو؟ تعيد انتاج ذاتها لتتوازن نسبيًا. أعبّرَت أم صمتَت، أم لم تدرك أم فهمت أم كانت لا ترغب بالتصريح؟

هل للضغوط البيئية والنفسية الداخلية دورٌ في الفهم والتعبير من كتمانه؟ سواء كان المؤثر هذا أوذاك أو كليهما وبغض النظر أين كانت البداية أو ممن؟ لربما، فقد تكون كلها أصبحت كتلة واحدة غير محددة التكوين في مرحلة ما، وتجاه وضع أو موقف ما، أو أشخاص أو شخص ما يهزّ كل الكيان!

دعني أبرقُ لك ما قلته بعدة سطور، ولا تقاطعني! فأنا حائر ربما، أومضطرب أو متداخل أومترجرج النفس، أو لربما علي عتبة الانفصال بين الشعور ومعرفته والتصريح به فلا تلمني فلم أجد أذنًا صاغية لي بعد نفسي... إلا أنت!

عندما طَرَح عليّ الموضوع، قائلًا بكل جدية خُلِقَت: أنه صعب جدًا!

ومضيفًا: لم أحدث أحدًا به على وجه الأرض... غيرك!

أثار كل انتباهي فعلًا، وشدّني، فاستأذنته بأن أدوّن ما قاله بالقلم فلم يمانع!

لقد ألقى أحماله الثقيلة عليّ، ولم ينتظر مني جوابًا لأي مما قاله، وخرج!

وأظنني بالحقيقة لم أفهم شيئًا، أو لم أفهم الكثير مما قاله.... لكنني أتفكروقد أشعر بما فيه.

ما ثمن ما تعمل؟ وهرم "ماسلو" الثُماني

في كثير من الأحيان ما أواجه بالسؤال التالي:

ما ثمن ما تعمله؟

ماذا تكسب؟

لماذا تجهدُ نفسَك وتنجزُ، ويُنسب الفضل للآخرين؟ فماذا تكسب؟

أوما هي النتيجة المتوقعة؟

وهذه الأسئلة ومثيلاتها جديرة بالتفكر والتأمل لأنه تأتي من مقرّب أو من شخص من المفترض أنه تربي في الجماعة أو المنظمة (التنظيم) على ما هو وراء العمل، أي النتيجة المتحققة.

ولكن هيهات... فحساب الحقل مختلف عن حساب البيدر حين النظر لاختلاف النظرات الانسانية النفسية.

في السؤال حول ماذا تكسب أو ما هو الثمن؟

ينصرف ذهن السائل دومًا الى الثمن المادي!

بمعنى أن يتضمن جائزة أومالًا أو موقعًا أو مكانة ذات سلطة وسلطان على الناس والأشياء، بمعنى أن أي انجاز في عقل هؤلاء يجب أن يتضمن سعيًا نحو جائزة مالية أو جائزة بالمنصب؟ (في العمل الوظيفي لا بأس به قطعًا، ولكنه ليس الهدف الأوحد) دون النظر لحقيقة الانجاز وثمنه الحقيقي وهو بسياق الثمن الشخصي الذاتي أي فيما يتحقق في ذات الانسان وعلاقته بربّه

وذاته، والثمن والمردود المعنوي العظيم من عيون الآخرين، وفي قلوبهم الظاهرعبر ألسنتهم وجسدهم، خاصة في العمل التطوعي أو التنظيمي اوالانساني.

في الآية 111 من سورة التوبة يتعامل الخالق عز وجلّ مع البيع والشراء فيقول"إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ" وفيه اعتبر الخالق عز وجلّ أن الثمن والجزاء للعمل المطلوب وهو التضحية بالنفس بالآية (وينطبق على الأعمال الصالحة) هو الجنة، ليقول بمنطق البيع والشراء الإلهي ذاته "فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ".

و"أنا جنتي وبستاني في صدري" كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية لتلميذه ابن القيم.

والفوز العظيم والجنة بما يتضمنه بالدنيا والآخرة بالسعادة، كما في سورة هود الآية108 "وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ" ، ولم يكن الثمن المادي ببعيد عن السياق القرآني وهو هام، ولكنه ليس غاية المنى الى جانب الثمن الذاتي من جهة، والثمن أو التقدير المرتقب أو المتوقع من أفواه ولسان وعيون الآخرين.

إن الثمن الذي أحصل عليه حين أحقق انجازًا أو هدفًا مهما كان نوعه لو كنت مزارعًا أو فنانًا أو نحاتًا أو كاتبًا أو مهندسًا أو موظفًا أو عامل بناء أوسائق شاحنة أو لاعب رياضي أو خلافه هو رضاي أنا عن ذاتي، وشعوري بتحقيق الهدف ومحبّتي لما أعمل وما هو إرضاء لله سبحانه وتعالى، وإرضاء لضميري ومنه تنطلق أيضًا رغبتي بالشعور بالثناء أوالتقدير أو الاحترام أوالذِكر من رؤسائي أو زملائي أو صحبي وأهلي.

تقول صاحبة كتاب كيف تجذب الناس"ليل لاوندس" بما معناه بأنه: "حينما يقول الجذابون للناس: "أشكرك"، فإنهم يمنحون الابتهاج الذي تقصده هذه الكلمة بتفسير سبب شكرهم. وهم يعطون كل كلمة شكر بطانة رقيقة لينة. ودائماً ما تكون الابتسامات الكبيرة هي مكافأة الجذابين للناس".

لا تتصوروا قيمة الكلمة الجميلة والإشادة والثناء للعمل أو الانجاز بشعور الشخص السويّ بالفخر مما قام به أو بالآخرين الذين أشادوا به (أفضل من مليون دينار) ما تعجز عن فهمه كثير من العقليات التي تقلبت على نار الذهب والفضة والثمن المادي النابع من العقلية الاستهلاكية المادية الغربية المرتبطة برأسمالية التلقّي الكسول دون العطاء أو النهوض، ورأسمالية الاستسلام للقوِي في جميع المجالات الى الدرجة التي تصبح قيم الغرب الاستهلاكية وحتى قيمهم الاخلاقية-التي في كثير منها لاتتوافق مع قيمنا الاسلامية والمسيحية والمشرقية- أنها هي المقياس، وهي البوصلة والتي لا تمثل بالحقيقة أو يجب ألا تمثل لنا أي بوصلة.

إن القيم والاخلاق ورضا الخالق، وتوازن الذات البشرية هي المحرّك الأساس للضمير والحاثّ على السلوك الصحيح والخيّر والفعل المنجَز والمكتمل والمتقن كما تعلمنا من سيد البشرية "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"، ونشدان حُب الناس وخدمتهم والاحسان لهم كما قال المسيح عليه السلام "بَارِكُوالاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُم".

نحن نبغي تحقيق الوصول للصفاء والسلام النفسي والتفوق على الذات مما نسعى له وهو حقيقة فهم منطق البيع والشراء والثمن.

كنّا نعطي بالدورات نظرية "ابراهام ماسلو" ذات الهرم الخُماسي من الحاجات الانسانية الحيوية بالأكل والشرب والدفء ثم حاجات الأمان

والسلامة فحاجات الانتماء وصولا لصناعة أو تحقيق الذات لأفاجأ بالنقص لدي في متابعة المفكر الشهير الذي أضاف لنظريته الكثير فأصبحت تتخذذ من السلم الخماسي 8 درجات (ثُماني) وليس 5 فأضاف لها ولا تتفاجأوا اكتشافه للمعنى القرآني والمعنى الديني النفسي السامي عامة فيما عدّل فيه نظريته.

"ماسلو" حدّد درجات السلم أو الهرم للاحتياجات الانسانية بخمسة ودامت النظرية طويلا، ثم لتصبح ثمانية كالتالي

1-الاحتياجات الحيوية "البيولوجية والفسيولوجية" - الهواء ، الطعام، الشراب، المأوى، الدفء، المعاشرة ، النوم ، إلخ.

2-احتياجات السلامة - الحماية من العناصر، والأمن ، والنظام ، والقانون، والاستقرار، والتحرر من الخوف.

3-احتياجات الحُب والانتماء - الصداقة ، والألفة ، والثقة ، والقبول، وتلقي وإعطاء المودة والمحبة. الانتماء ، أن تكون جزءًا من مجموعة (عائلة ، أصدقاء ، عمل).

4- تقدير الاحتياجات - التي صنفها ماسلو إلى فئتين: (1) احترام الذات (الكرامة والإنجاز والإتقان والاستقلالية) و (2) الحاجة إلى أن يتم قبولها وتقديرها من قبل الآخرين (على سبيل المثال، المكانة والهيبة).

5- الاحتياجات المعرفية - المعرفة والفهم والفضول والاستكشاف والحاجة إلى المعنى والقدرة على التنبؤ.

6-الاحتياجات الجمالية - التقدير والبحث عن الجمال والتوازن والشكل ، إلخ.

7-احتياجات تحقيق الذات - تحقيق الإمكانات الشخصية ، وتحقيق الذات ، والسعي إلى النمو الشخصي وتجارب الذروة. الرغبة في "أن نصبح كل شيء يستطيع المرء أن يصير" (ماسلو، 1987 ، ص 64).

8- احتياجات التعالي (السمو) - يتم تحفيز الشخص من خلال قيم تتجاوز الذات الشخصية (على سبيل المثال ، التجارب الصوفية وتجارب معينة مع الطبيعة ، والتجارب الجمالية، والتجارب الحميمة، وخدمة الآخرين ، والسعي وراء العلم ، والإيمان الديني ، وما إلى ذلك).

ما الثمن لما تعمل أو تنجز؟

وفقًا للسياق القرآني والرسولي العظيم أوضحناه، ووفقًا لما طور فيه "ماسلو" تفكيره ولا يختلف مع السياق السابق هو في نقطته الثالثة وصولًا الى السابعة والثامنة أساسًا حيث نجد الانتماء، والرضا الذاتي والإيمان والحب والصداقة في الله.

قال عليه السلام: "إن من عبَّاد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى". قالوا: يا رسول اللهِ، تخبرنا من هم، قال:"هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس".

لا قيمة مادية هنا ولا مكسب استهلاكي ولا ثمن ولو بملايين الدنيا! ولا سلطة ولاهيلمان.

الحاجة للصداقة (والتقدير والثناء...) وللحب في الله، والعطاء المثمر، ومد يد العون أوخدمة الناس حاجة "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" تحقق الشعور بالانتماء، وتظهر بالنمو الشخصي، والتعالي والاشتعال الصوفي أو الترابط وذلك بحبل وثيق نرغبه مع الوطن والذات الالهية، ما هو حقيقة الثمن الكبير.... على الأقل بالنسبة لي.

لعلي أكون أجبت على السؤال؟

هز رأسه بالرفض!

وكأنّني على موعد مع الفقدان!

وكأنني على موعد مع الفقدان! ففي مفتتح هذا العام 2020 وأواخر العام الفارط يرحل عن عالمنا عدد ممن أشعلوا الأنوار في عتمة الوجود، وفي ظلام الفكر الموغل في مستنقع الماضوية الآسن، يرحلون هُم، ونظل نحن نرفل في الأصفاد متعثرين بين الحواجز والعوائق والعَطالة.

يرحل من جعلوا للعقل قدرة الصراخ في محيط الخواء، يرحل المقاومون للعطالة الراقدة في رؤوس النافخين في الكير فيحرقون الثياب، ويصيبون من جاورهم بالعمى الروحي والتكلس العقلي.

هم رحلوا، ومع رحيلهم ارتاحوا كثيرا، فلقد كان لهم من الرسول عليه السلام حُسن الدعاء وجزيل الجزاء فهم خلّفوا (علم ينتفع به).

يرحل مع رحيل المفكرين والعلماء والباحثين والكُتاب جزء من قلبي وجزء آخر من عقلي وجزء من مساحات الراحة التي كنت أحسّ بها لمجرد وجودهم في الفضاء التأملي والثقافي العام، فهم الأتقياء الأنقياء، الإرقاء بكلماتهم وأعمالهم مهما خالفت رأيي، وهم الباقون، الرفقاء بالنار حتى تشتعل في عقلك فلا تنطفيء.

وكأنني على موعد مع الفقدان!

فلقد عاشرت منهم القليل بشكل شخصي، ولكني قرأت لبعضهم الكثير، فكانت المعاشرة الحقيقة ليست فيزيائية، وإنما عبر صفحات منثور السطور على ورق الفكر المتوزع بين أجنحة الصفحات.

يموتون، وكأنني على موعد مع الفقدان، فلا يعودون! هكذا يظنّ الغِلمان من عبيد الجهل وأساتذة الغباء المشبع بالحمق وأساطين اللاوعي المنتفض على الحقيقة.

يموتون فلا يعودون، هكذا يظن الذين لا يعملون، فيرقدون مسترخين بين جناحي غمامة تظلّل على عقولهم، فتنام هذه الأدمغة الخاوية الا من الشر الى الأبد !

من لا يعمل يعطّل العمل، فمن لا يعمل قد يركن ويبتعد وهذا أفضل له ولنا، ولكن المصيبة الكبرى أن من لا يعمل يعطّل! وهذا عمله!

العاملون المفكرون العاقلون المتأملون كما أمرهم الله، هم الخُشاة لله أكثر من غيرهم (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) ولكن من أين نجد الخشية أو الخجل أو التواضع من الجهلة والحمقى والمعوقين والمعطلين! وهم بعطالتهم يرفلون سعداء!

تجد من العقبات الكثير في وجه العاملين فتكون القضية الكبرى أمامنا ليس العمل والابداع أولًا، وإنما التخلص من العقبات والحواجز والأشواك التي يضعها المعوقين والمعطلين، والتي لربما لا نستطيع اقتلاعها بسهولة وصولًا لمرحلة العمل، نحن ومَن فارقونا.

هؤلاء الراحلون كانوا يعملون، ويلقون العنت والمشاكل والنقائص من التهم التي عانوا منها الى الحدّ الذي لم يتوقف فيه السبّابون والشتامون والمعطلون عن العويل والنباح والنهيق.

من ينام عقله أو يخلد لسباته الأبدي تتحرك مشاعرة الآسنة لتعمل لطمًا ذات الشمال وذات اليمين، فلا تجد من أصحاب العقل المنفتح الا الصبر وخوض

الصراع بكظم الغيظ والأدب الجم، ولكنه الصبر الذي قد يعيق الفعل المُنتِج والفعل المبدع قسرا، فيموت الكثير والحسرات تملأ منهم القلوب.

رحل الكثيرون عن عالمنا، ممن أضاءوا الأنوار، ولم يأخذوا من الحظ الكثير ربما لأن منهم من قضوا جلّ أوقاتهم في الصراع والمواجهة وتخطي العقبات واقتلاع القنافذ من أجسادهم، هم رحلوا تخلّدهم كلماتهم وأفعالهم، ونحن مازالت القنافذُ تصعد على أرواحنا.

وكأنني على موعد مع الفقدان! رحل (النمل الأبيض) مع عبدالوهاب الأسواني عام 2019، ومعه جلال أمين و(ماذا علمتني الحياة)، ورحل أكبر المدافعين عن القدس صبحي غوشة و(شمسنا لا تغيب)، كما رحل الفيلسوف الذي حذّر مبكرا من الانفجار العملاق السوري الطيب تيزيني، ورحل الرسام الفلسطيني اللامع كمال بلاطة، ورحلت أستاذة الآثار العراقية بهيجة خليل والروائي العراقي علاء مشذوب أبو (الوطن والوطنية)، ورحل المؤرخ المغربي زكي خليل، ورحل محمد شحرور السائر عكس التيار كما يصفونه، كما رحل المؤرخ الكبير المناهض للرواية التوراتية الخرافية د.عصام سخنيني في أواخر العام 2019 كما يرحل منذ أيام المختص بالاسرائيليات المفكر المصري ابراهيم البحراوي في 2020/1/5 صاحب (استراتيجية "اسرائيل"2028 دراسة تحليلية)، ورحل مثلهم من السُعاة نحو النور من مختلف التخصصات الكثير، وكأنني على موعد مع الفقد إذ برحيل كل مستنير أفقد شيئا من قلبي ومن روحي فأضمر وانكمش وأترقب القطار.

وكانني على موعد مع الفقدان، رحل دُعاةُ الحق، والنظر والتفكر والنور والسعادة، وبقي الغلمان المعوّقون المعطلون أولئك الذين أدمنوا التعويق ووضع العصي في العجلات وأتقنوا الإفساد وبث الأحزان وما لهم لا يفعلون

ذلك وهم خلو الارواح والعقول من أي حبة تفكير أو ذرة مشاعر طيبة؟ أو هديل.

الحمقى لا يتراجعون!

الحمقى لا يموتون، والحمقى لا يستسلمون أولا يتراجعون، والحمقى لا يتغيرون، هذه باعتقادي ثلاث صفات مميزة للحمقى ممن عرفتهم، وقد تعرفونهم وتعرفون فيهم صفات أخرى لربما تميز طائفة منهم عن أخرى فيصبح لدينا أصناف متعددة .

الحمقى لا يموتون لأنهم يتناسلون ويتوالدون، وكأنهم ينقلون عدوى الحُمق كما تنتقل عدوى زكام (انفلونزا) الخنازير فتبدأ بواحد وإن لم يتم التحصين ضدها سرعان ما تنتشر، لذلك فالحمقى إن مات منهم واحد ستجد منهم العشرات يحيطون بك!

الحمقى لا يتغيرون، فهم يظنون أن الثبات على الرأي دلالة قوة ودلالة فهم ودلالة شموخ وإيمان حصين! حتي لو كانت الدفوع أو الآراء المخالفة أشد قوة بالمنطق والأسانيد والدلائل والاثباتات الواضحة، إذ سرعان ما يقولون لك غير صحيح! أو اختلف معها، حتى لو كانت مسلمات وان قلت له (كل ابن أدم خطاء) لقال لك ألا أنا! فلست خطاء لأتوب !

نعم إنه كالثور الذي يدور في الساقية ليخرج الماء، لا يحيد مطلقا عن مساره وهو يظن أنه يقطع المفازات، وهذا مغلق العينين فقد يُعذر أي الثور، فما بال مفتح العينين؟

من هؤلاء من تناطح معي ليثبت أن صدام حسين مازال يعيش ويتنزه في الدولة التي استضافته! وآخر أصر علي أن البيض لا يمكن أن يكون بصفارين رغم رؤيته الصفارين! وثالث لا ينفك يرفض الاقتناع أن العثمانيين

أتراك وليسوا عربا ومصرّ بشدة، فلو أنهم أتراك لتسموا بذلك ولكنهم عثمانيين أي عرب! مفترضا النسبة للعربي الصحابي الجليل عثمان ابن عفان؟

الحمقى لا يستسلمون ولا يتراجعون (فهم معاندون أبديون، مجاكرون أو "مقاوحون" بالعامية المصرية) فهم يصرون على استخدام نفس الأسلوب الفاشل مرة ومرتين، والثالثة نابتة وربما الرابعة وربما العاشرة.

فأحدهم كان يصر على النجاح في مادة الفيزياء دون اللجوء الى الكتاب وحل المسائل، وانما فقط استنادًا لشرح الأستاذ المقتضب فتخرج من الجامعة بدرجة ساقط.

والأخر أصر على أن الحمار يستطيع أن يتعلم، ولم يفهم حكمة جحا مع الحمار فحين طلب السلطان من أحد أن يعلم الحمارالقراءة والكتابة ويعطيه ما يريد، تصدى جحا للمهمة وطلب مهلة عامًا واحدا! فلما سألوه وكيف ستفعل ذلك يا أحمق؟ قال: في هذا العام إما أن أموت أو يموت الحمار أو يموت السلطان؟

إلا أن صاحبنا يعاند! فمن يستطيع تعليم القرد الرقص يستطيع تعليم الحمار! ورغم هذا الشطط ورغم الفرق بين الحيوانين علميا، فما زلنا بانتظار النتيجة من 30 عاما حتى اليوم!

وبالمناسبة فإن الشخص المذكور كان يعمل في أحد بلدان الخليج العربي عاملًا في مطعم فلافل....ومع احترامي الشديد للفلافل وصانعيه جميعا، اكتشفت أنه مازال بذات الموقع حتى اليوم.

مساهمة طريفة، ويدي (إيدي) على خدي!

طرح أحد الأخوة مصطلحات شعبية عربية وشامية فلسطينية ذات علاقة باليد مثل يده (إيدوه) بيضاء، ويده ماسكه، وخضراء، وطايلة، وواصلة وخفيفة ومخزوقة، ويده على قلبه ويده والكف ويده بحلقه، ويدي بحزامك، ويد من وراء ويد من قدام و(جاي يلُولح بإيده)، وعلى حطة يدك، ومن يده بالماء ليس كمن يده بالنار، وماسكه من يده التي تؤلمه، ويدي على رأسك، وشو طالع بإيدي وإيدك وما تعطي... وهكذا، فاستفزني المنشور إيجابا فكتبت التالي

عندك: قطع يده ويشحذ عليها، وإيده تلتف بحرير، وايده (هواته/ضربته) والقبر، إيده مرزبّة (باطشة)، وتسلم يديك، وعلى طول إيده، وربيته على إيدي، واغسل ايدك منه (لا أمل به)، ويد الله مع الجماعة، والقابض بيديه على الجمر هو الرجل المستقيم المجاهد الذي لا يتنازل. وعندك: حارة كل مين إيده إلو(له)، وايدي بحلقه وايده في عيني(لناكر المعروف)، وبطيختين بإيد وحده ما بنحملوا، وتكون بإيدك وتقسم لغيرك.

وعندك: يدًا بيد نحو القدس-أبوعمار، وقال الخالد أبوعمار أيضا: لقد جئتكم حاملًا غصن الزيتون بيد، وبندقية المقاتل من أجل الحرية في اليد الأخرى. لا تسقطوا غصن الزيتون من يدي، لا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي.

وهناك القول: لنكن أو لنعمل يدًا واحدة بقصد استثارة الوحدة والعمل الجماعي، والمثل : "اللي يوفي بمواعيده حط إيدك بإيده."

ومع البحث عند الشيخ "غوغل" في الشابكة وجدنا الكثير مثل:(إيدي وإيدك ع الوادي تا نعمل مشوار-فيروز)،(إيدي وإيدك عَ الوادي غني عَ اليادي اليادي-نصري شمس الدين)،ايدي في ايدك تسير والمولى راعيها (اسمهان)،ولأم كلثوم (حطّيت على القلب إيدي).

ويقول العرب المصريون ما يشبه تماما أمثالنا الشامية (إيدي وكْلاني=تأكلني) عندما يعتقد الشخص أنه سيسلم على آخر أو أنه سيقبض نقودا! ويقولون: إيده (يده) طرشة وإيده طويلة وإيده فرطة، وإيده مرهم (الطبيب) والإيد البطالة نجسة، والايد التعبانة شبعانة (التي تعمل)، وأيد على إيد تكيد (كيد الجماعة أنكى)، والإيد الّي تاخد ما تديش (من تعوّد على السؤال=الشحادة لا يعطي)، والإيد الى تتمد ولا تضربش تستاهل قطعها (تضرب للجبان يحجم حين الإقدام).

ويذكر الكاتب والشاعر صالح زيادنة 23 مثلًا في اليد (الإيد) في: موسوعة الأمثال الشعبية منها: احزم ايدك على الصحيح ما بتحزَى ولا بتقيح، العين بصيرة والايد قصيرة، عصفور في الايد ولا عشرة على الشجرة،اللي ما بياكل بإيده ما بيشبع، الأيد اللي ما بتقدر تعضّها بُوسها، والمثل: الإيد ما بتشاور أي يجب عدم التسرع والتهور في المشاجرات، خاصة وأنه في ساعة الغضب يفقد المرء صوابه، ولنا أن نقرأ بالمجال كتاب: الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا ومعجم الأمثال العربية الفصحى والعامية لرأفت علام.

وللشاعر الفخم نزار قباني قصيدة رائعة تحت عنوان: حوار مع يدين ارستقراطيتين، وهناك اليد العليا واليد السفلى، ومن أوتى كتابه بيمينه، واليد البيضاء (الكرم) ويد المنون (الموت).

ويقول الشاعر الحكم بن أبي الصلت :

فجعتني يدُ المنون بخلٍ   ثابت الودّ صادق الإخلاصِ

غائصُ الفكر في بحور علومٍ   كل بحر بها بعيد المغاصِ .

وهناك: يدُ القدر، ويد الله فوق أيديهم، واليد الواحدة لا تصفق.

واغنية (حط إيده على إيدي) للمغنية المصرية بوسي على (يوتيوب) للعجب 45 مليون مشاهدة! وغناء عراقي (ايدك بايدك جرحي يزيدك) وأيضا غناء عراقي (خلي ايدك بيديا نتظاهر سوية) وفي الشعبي الفلسطيني (سبّل عيونه ومد إيده يحنوله) جميلة.

ومن الأمثال العربية الشهيرة: يداك أوكتا وفوك نفخ، ويُضرب هذا المثَلُ لِمَن كان سبب هلاكه مِنْه، وقصته أن رجلا نفخ قربة وربطها ثم نزل بها يسبح في النهر وكانت القربة ضعيفة الوكاء(أي الرباط) فتسرب هواؤها وأوشك الرجل أن يغرق فاستغاث برجل كان واقفا على الشاطئ فقال له (يداك أوكتا وفوك نفخ) يعني بذلك أنه هو الذي ربط ونفخ فلا يلومنّ إلا نفسه،

يُضرب لمن يقع في سوء فعله، وشبيهه المثل الشعبي في الشام والعراق وغيرها القائل (إليّ من إيده الله يزيده) .

وقصة المثل الشعبي العربي الشامي والعراقي: يد من وره .. و يد من گدام (قدام=الأمام) !!أنه يُضرب هذا المثل للرجل الذي يُكلف بإنجاز عمل، أو القيام بمهمة فيعود خائباً ، و أصله

يقال أن رجلاً من محبي الطرب و عُشاق السماع ، كان جالساً في باب داره، فرأى أمَة مملوكة لجارِهِ تخرج من بيتها تحمل جرّة، وهي ذاهبة الى شاطىء النهر لتملأها ماء، و كانت المملوكة حسنةُ الصوت ، مجيدة الغناء

فتبعها الرجل و طلب منها الغناء ، فغنته صوتاً فطرب ، ثم ملأ لها جرتها بالماء و وضعها على كتفها ، و سألها أن تغنيه بصوتاً آخر فقالت له: "في هذا الوقت لا أستطيع الغناء لأنني حاملة الجرة وهي ممتلئة بالماء فأصبحت ثقيلة ، و أهلي في إنتظاري !!"فقال لها : "أما الجرة فإني أحملها عنك ، ولكي لا تتأخري غنّي و أنتِ ماشية بالطريق". فوافقت على طلبه ، فحمل عنها جرّة الماء، و ذهبت تسير معه و تغني، فطرب الرجل طرباً شديداً ، و ضرب الجرة بالأرض فكسرها، فولولت الخادمة المملوكة و بكت ، وقالت له :هذا جزائي منكْ ؟؟ إذا علِموا أهلي بذلك سوف يضربونني و يحاسبونني على ما فعلت !! .فنزع عنه ثوبه و دفعه لها لتشتري بثمنه جرةً جديدة ، وبقي الرجل عارياً كما ولدته أمه . فوضع يديه إحداها من الأمام و الأخرى من الخلف ليستر بهما عورته، ثم أسرع راكضاً نحو بيته ، فلما رأته زوجته على تلك الحال صاحت به: ما هذا ؟؟ يا أبا فلان ؟؟ (راجع للبيت يد من وره .. و يد من گدام !) .فذهب قولها مثلًا. ويشار للمثل أيضا أنه مثل صبي الحمام (يد من وراء ويد من الامام).

ويمثل مستخدمو اليد اليسرى نسبة 10% من سكان الكرة الأرضية، وهي نسبة لم تشهد زيادة أو نقصان كبيرين منذ قرون. فضلاً عن أن الرجال هم الأكثر نسبة بين مستخدمي اليد اليسرى كما يقولون وإليه عصفور باليد ولا عشرة على الشجرة. وإليك أن 5 من بين آخر 7 رؤساء في أميركا كانوا يستخدمون اليد اليسرى في الكتابة وهم : جيرالد فورد و رونالد ريغان وجورج بوش (الأب) وبيل كلينتون وباراك أوباما.

وقال المتنبي: والغِنى في يد اللئيم قبيحٌ   قدرَ قُبحِ الكريم في الإملاقِ

وقال: ولكنَّ الفتى العربي فيها   غريبُ الوَجه واليد واللسان

ملاعبُ جِنةٍ لو سار فيها   سليمانٌ لسارَ بتَرجُمان .

وقال: أقامت في الرِّقاب له أيادٍ   هي الأطواقُ والناس الحَمامُ

وقوله: وما جهلتْ أياديك البوادي   ولكن ربما خفيَ الصَّواب .

ويقول الشاعر علي الجارم:

ما احمرار الاصيل الا دماء   بقيت في يد السماء شهودا.

ولغيرهما من الشعراء الكثير .

والصحابي "ذو اليدين" هو الخرباق بن عمرو، والآنسة ذات اليدين المصليتين مذكورة في كتاب قصة:الأم غفرئيلا. ولنا قراءة قصة الأيادي البيضاء لنورة الخوري للاطفال، والأيادي البيضاء أيضا قصة يابانية شهيرة.

والله جل وعلا "كلتا يديه يمين" يعني في الشرف والفضل، وإن سميت إحداهما شمالاً. كما جاء في حديث ابن عمر في صحيح مسلم. ولمن يطلع قراءة بحث د.اياد رستم المصري المعنون دلالات اليد في المعتقدات الدينية، حيث يذكر ضمن كثير أن اليد التي تتوسطها عين من رموز (تمائم) المصريين القدماء، ويشيع قُرّاء الكف خرافة أنه يمكن تحديد شخصية الإنسان من خلال حجم اليد ومرونتها. وهُم غُلّت أيديهم فالله سبحانه "يداه مبسوطتان"، و"تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، وآيات كثيرة حول اليد.

وقال عليه السلام في عدة أحاديث منها: "إِن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ الليْلِ حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا". ومنها قول النبي ﷺ : اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنه الله، متفق عليه.

وأشهر يد بالتاريخ يد النبي المسلم موسى عليه السلام الذي خرجت يده بيضاء مشرقة حسب الآيات ومنها:"وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ".

والرجل ذو اليد المقطوعة مذكور في رواية كاهن جبل حفيت لسالم الجابري، وأحب العرب في المرأة صفات كثيرة منها ان تكون(فخمة الذراعين، رخصة الكفين).

وظهود يد في السماء (يرون يدا بارزا مع قرن الشمس) من علامات ظهور المهدي المنتظر لدى الشيعة .

ومما يقول نزار قباني في قصيدته الجميلة حوار مع يدين أرستقراطيتين.

يداكِ مخطوطتانِ عربيّتان نادرتانْ

وكتابانِ .. ليس لهما نسخة ثانيَةْ

فلا تسحبي يَدَكِ من يدي

حتى لا أعودَ أُمِيّاً...

يداكِ أميرتانِ من العصر الوسيطْ

تركبانِ عربةً من الذَهبْ

فمتى يصبح النظامُ في وطني ديمقراطياً

لأتمكّن من مصافحة الأميرتينْ؟

وما قبل الختام لنضعكم بطرفة عربية لها صلة باليد كما وردت في كتاب: قصص العرب لابراهيم شمس الدين: حيث يروى عن الخليفة المعتصم أنه قال للفتح بن خاقان وكان صبياً في مقتبل العمر: أرأيت يا فتح أحسن من هذا الخاتم؟ في إشارة إلى الخاتم الذي في إصبع الخليفة. فقال الفتح بن خاقان: نعم يا أمير المؤمنين: اليد التي هو فيها أحسن منه. وهو ما دلّ على رجاحة عقل الصبي وسرعة بديهته. وقد أصبح الفتح في ما بعد شاعراً ووزيراً، ثم اتخذه الخليفة العباسي المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وإفريقيا، فكان يقدمه على سائر ولده وأهله.

وفي الختام دعونا نقول نقلا عن الأطباء أن هناك 7 علامات على يديك تفصح عن مشاكل صحية خطيرة، والى ذلك فإن غسل اليدين أساس في الوقاية من الأمراض!

الممتلئون فخرًا لا يفشلون

الأصل في التعامل مع روايات الآخرين في تاريخنا القريب الذي عشنا معظمه هو الثقة بالنفس والفخر بالذات وبالانجازات، والامتلاء بالهواء النقيّ، وهو ما يعبّر عنه بحقيقة الانتماء والالتزام والتجذر الوطني.

وحينها تصبح قراءة الآراء أو وجهات النظر أو الروايات الأخرى المنتقِصة لنا ليست ذات مضرّة بقدر ما هي مادة -وإن كانت مسمومة أو كاذبة-يتم درسها والاستفادة منها وإعادة إلقائها شِواظًا في وجه الآخرين من الفاشلين.

يقع الضرر من وجهات نظر الآخرين الفاشلين في تاريخنا الذي مازلنا نعيشه من حالة التشكّك أو التِيه التي يعيشها البعض الضعيف الذي يتلقى الرواية، أو من محاولة التبرير للإنسحاب (انسحابه) أو الإنكفاء أو السخط وهي الحالة التي يكون عليها من لا يتنفس الهواء النقي، أو لم يكن يومًا منتميًا بحق أوملتزما بوطنه أوحركته فيُحرّكه الشعور الدائم بالصِّغار (أنه أقل من الآخرين)، وشعور الانتقام الخفي من ذاته (روايته، حركته، رأيه، تاريخه...).

صدرت هذه الأيام السوداء 3 كتب من ثلاثة فاشلين -لا يعرفون العرفان ولا النقد- تحاول تصغير وتحقير وتقليل شأن الانطلاقة للثورة وحركة فتح ومسارها وتجربتها الريادية والتقليل من رجالاتها العظام (تم الرد عليها من أسُود الحقيقة).

فلت الكتب الفاشلة المذكورة بكمّ هائل من الأكاذيب والمغالطات كما حملت أنصاف الحقائق، هذا الى جانب حملها مشاعر سلبية ذاتية عكست نفسها على رؤية الاحداث، ووجهات نظر تعبر عن قائلها فقط،وتجربته الشخصية الفاشلة في إطار الثورة والمقاومة الفلسطينية منذ العام 1965م، ولا تعد تأريخا وإنما تنفيس عن حالة الغضب الذي التقط المرحلة السوداء الحالية ليرش الملح في الجرح، ولربما هو تعبيرعن الفشل الذاتي بمنطق التشفي ورغبة الانتقام لما طال الذات من النسيان والتهميش في مرحلة ما.

نحن مازلنا نعيش اللحظة والتاريخ القريب، ونحن جميعا عليه شهود فهل نشكّك بأنفسنا؟ واعيباه. ومع كثير النقد الذي مارسناه وما زلنا نمارسه، وكشف العيوب والمآزق إلا أننا ممتلئون بالفخر بثورة الأمة، وعن صيرورة الثورة وتحرير فلسطين لم نحيد؟

إن مثل هذه الآراء (الكتابات/الكتب) للقاريء المنتمي الصلب الواعي ذو المنهج العلمي ذخيرة يجعلها ترتد على نحر قائلها لأنه يمتلك القدرة على الفرز بين الحقائق والأكاذيب وبين الرأي والمعلومة، وبين الخبر والحقيقة، وهو ما لا يتمكن منه المشككون السوداويون الساخطون على أمهاتهم لأنها حملتهم، وعلى آبائهم لأنهم كانوا السبب في قلة حظهم!

من لا يمتلك من أدوات الفهم والإدراك والتفسير والمنهج العلمي شيء فلا يستطيع تمييز الغثّ الكثير من السمين القليل في مثل هذه الآراء الفاشلة. فكيف حين يتحالف عدم القدرة على التفسير وقِلة الفهم مع الضعف الذاتي والسخط والنفسية المريضة؟

لقد كان قادة فتح العظام لنا نورًا وفتحوا لنا في سماء الكون كوّة لولاها لبادت القضية ونُسي الشعب العربي الفلسطيني، ولولاها لكانت فكرة النضال والصلابة والثبات والرباط والجهاد والثورة بكافة أشكالها قد تحولت لاستسلام ونكوص.

ولما كانت فلسطين اليوم تُثبت نفسها -رغم عميق الجرح والألم- في كل العالم فإنك تراها في البرق والغيوم وفي تراب الأرض وحليب الأمهات وفي عين الشمس كما تراها على مائدة المؤمنين والكفار معًا.

القادة الأوائل عرفوا كيف يحولون ظُلمة الظلم الى بياض وبهاء الحق رغم قلة مرتادي سبيل الحق هذه الأيام.

نفخر ونثق ونمتلئ، وعن حُب فلسطين وتقبيل تراب أرجل أمهاتنا ورجالها لانحيد، فكونوا على هذا الطريق فهو طويل وصعب ويحتاج لدم ودموع وصلوات، وكثير رصاص وحجارة وثورة أخرى قادمة وصرخات وهذا ليس كثيرًا الا على الفاسقين.

ماذا أفعل بالبيت؟ وكنز الوقت

سألوني، ولربما تساءل الكثيرون ماذا تفعل بالبيت؟ أو ماذا نفعل بالبيت؟

ولغرابة السؤال بالنسبة لي وجهت للسائلين ذات السؤال بصيغة معاكسة. ما الذي لا يمكن أن تفعله بالبيت؟ فأنت تقضي أكثر من نصف حياتك بالبيت!

فأذا احتسبنا النوم ووقت الراحة من العمل (بفرضية أنك تقضي معظمه بالبيت) يصبح أكثر من ثلثي حياتك أو حياتي بالبيت.

وما يمكن أن أفعله (مضطرا) بالزمن الباقي (الزمن الجديد الاضافي مع جائحة كورونا) في البيت هو الكثير مما قد يكون تكرارًا لما سبق، أو تطويرًا لما كنت أمارسه بالبيت أوبالمكتب او مكان العمل أو مكان الدراسة أوالشارع.

إن البيت فضاء واسع قابل للاستغلال في عديد الأمور لا تقل عن خمسة أمور أساسية.

هذا ان أضفنا لها الامور الطبيعية اليومية من استخدام الحمام والنظافة وغسل اليدين والطعام ومشاهدة الرائي (التلفزة) أو التحديق في شاشة الحاسوب أوالجوال، والسباحة مع أدوات الثقافة او الترفية أو الدردشة على وسائل التواصل الاجتماعي.

في البيت استطيع أن أجد مساحة للوصال الاجتماعي الحقيقي عبر تطوير قدراتي الحوارية والنقاشية والنفسية والذهنية بالتعامل مع المحيط القريب

(ذاتي أنا، وعائلتي...) ومحاولة التوصل لكثير من الاجوبة لتفاضلات أوتكاملات بين الحاجات والرغبات الانسانية.

وبين المرغوب والمستطاع وإعادة ترتيب الأولويات والأهداف والغايات.

في البيت ثانيًا مساحة جديدة استفيد منها -إن لم أكن قد فعلت ذلك سابقا- بالقراءة العمودية أي العميقة والثقيلة لكثير من الكتب التي تستحق القراءة (سواء الورقية أو الالكترونية فلاحجّة لأحد أن ليس عندي مكتبة أو ماذا أقرأ) فأضيف بها الى حياتي حيوات كثيرة جدا أستفيد فيها وأحلّق مع الكاتب في آفاق رحبة واسعة.

ومع القراءة المستمرة يصبح التعلم والدرس والبحث وراء الافكار والمعاني والمفاهيم والتأويلات والتفسيرات والآراء وما بين السطور هواية، فمنهج فعادة فتغيير. لتنظر الى ماتحت قميصك بعد فترة لتجد شخصا آخر كليًا.

في البيت ثالثا قد أجد متسعا كبيرا للصلاة والدعاء وتمتين علاقتي مع الخالق سبحانه وتعالى-إن لم أكن قد فعلت ذلك - وتمتين حالتي الايمانية والنفسية. بل والتأمل بمنطق النظر والتفكر أو بمنطق تخلِيَة الذهن وتبييضه ثم صبّ الصور الجميلة فيه بما يؤسس لحالة ذهنية ونفسية جالبة للراحة والسعادة طالما أصبح ذالك متكررا بصيغة التدريب او التمرين اليومي الذي يجعل من هذه القدرة أو المهارة في قمة تألقها.

رابعا في البيت أجدُ وقتًا متاحًا بلا ثمن مالي لممارسة الرياضة غير مدفوعة الأجر كما في النادي الرياضي، وقد أجد متعتي بمشاهدة المباريات الرياضية التي فاتتني-أنا لست من متابعي المباريات بينما صديقي السائل يترقب الدقائق لذلك- أو الاشرطة السينمائية ذات الفكرة والهدف أو الحبكة والإثارة والمتعة التي قد تثري معارفي أو متعتي أو تحفر في ذهني فكرة أو تجربة

او تزيد في رصيدي العقلي إن أحسنت النظر للمعاني والمفاهيم والحوارات والقصة والأفكار التي قد تفيدني بعملي او بحياتي العادية.

هذا ان كنت امتلك وعيًا منفتحا ومنهجًا علميا ومرجعيةً وقدرة تحليلية، وان لم امتلك تلك المهارات الأولية فقد أزِف الأوان لأطور من قدراتي ومهاراتي الشخصية في هذا الجانب الضروري للبناء الذاتي ولي بآلاف الكتب والمواقع رصيدًا كبيرا.

هناك خامسا ورغم ان هناك أيضا سادسا وسابعا وثامنًا الخ ما استطيع تدوينه أو تستطيع انت فعله، لأن المساحة وتوفر الأدوات، وتهيئة المناخ:المكان والقعدة وتخيّر الوقت...الخ، والارادة الصلبة والرغبة المسبقة بالاستفادة وعقد النية والحزم هو الأساس بالاستثمار للمكان/البيئة والزمن.

دعني أقول في خامسا أنني أستطيع أن أنمّي قدراتي الكتابية، وليس الاقتصار على سطر لا معنى له أو كلمات عشوائية خربوشية أو انفعالات وقتية او نُقولات غير مصدرية، أو سرقات غبية او اقتباسات غير أمينة أو ادعاءات فنّية، انمي قدراتي الكتابية سواء بكتابة المذكرات اليومية او الشخصية من التجارب، أو في تمثل الشعر الحقيقي وليس الكلام المسجوع بلا هيبة ولا معني ولا طعم، وتذوّق الفن الحقيقي او العلم والأدب الحقيقي لكبار الكتاب والأدباء والنسج على منواله أو الغزل بمغزله.

أما في وقت الليل فلقد تحدث الشعراء وقالوا، وفي القمر قالوا، وفي المساء قالوا ما يمكن أن يصبح لي او لك انشودة او أغنية او مسار فعل ليلي لعلك اهتديت إليه أم أنك مازلت تفكر؟!

أقسم الله سبحانه وتعالى في القرأن الكريم بمخلوقاته التي منها الوقت والزمن والدهر، حيث الدلالة عبر الأيات الكريمة حين القسم الجليل بالعصر والفجر والضحى والليل...، فالخالق جلّ وعلا يقسم بالزمن وهو البعد الرابع لما له من الأهمية الفائقة التي جعلت لكل شيء ميقاتا.

هناك نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس هما الصحة والفراغ (الوقت) كما قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ولأنهما اليوم -في زمن جائحة الكورونا-يسيران معا لنقل أن أي تغيير في حياة الانسان قد يراه المرء تهديدا أو أزمة أو مأساة، وقد يراهُ البعض الآخر فرصة أو امكانية أو طاقة متجددة ونحن نبتغي حُسن التعامل مع الوقت باعتباره كنز ثمين كي لا نغبن أنفسنا فيه فحسن التعامل معه واستثماره.

نريد النظر للوقت عبر 3 خطوات: الأولى هي تقسيمه، والثانية مضامين شغله والثالثة آليات تنفيذه.

في تقسيم الوقت لنا بالصلوات نموذجًا حيًا فالتقسيم الخماسي للصلوات يحدد الوقت في اليوم إلى خمسة أوقات باليوم الواحد عند المسلمين، أو إلى ثلاثة حسب الصلوات المسيحية، أي أن نقسم وقتنا الى 5 وحدات أو 3 وحدات، وهذه الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية تحديد مضامين شغل الوقت الثمين هذا من: شؤون عملية وهوايات ومهارات وتأملات واجتماعيات....الخ وهذا يخضع لقدراتي علي التحديد، ورغبتي وأولوياتي .

وفي الخطوة الثالثة وهي أليات التنفيذ فإن ذلك ما يستوجب استحضار النية والرغبة والإرادة، وتطبيق الصرامة مع النفس بابعاد المُلهيات والمُشتتات،

وبالالتزام بما حددته يوميا خطوة يتلوها خطوة حتى تحقيق الهدف باستثماري لوقتي.

لنعلم جميعا أن الرغبة تتحول لهدف والهدف يحمل في بطنه خطة والالتزام عبر التكرار والتدريب يصبح عادة، والعادة تصبح أنتَ فتحقق التغيير الايجابي.

وفي الإطار نحن نريد أن نظل أيجابيين وممتنين من الله على الوقت الإضافي الذي جاءنا هدية من الله سبحانه لنستثمره، و لا نريد أن نكون متشائمين سوداويين سلبيين كما حال شاعرنا الحزين أبوالعلاء المعري حين قال:

نشكو الزمان وما أتى بجناية/ولو استطاع تكلّماً لشكانا

والدهرُ لا يدري بمن هو كائن/فيه، فكيف يلامُ فيما كانا.

الجائحة ونقدي الذاتي

حول الدروس المستفادة من جائحة كورونا كتب الكثيرون، ما بين التفاؤل والتشاؤم وما بين التحليل المنطقي أو التآمري، حيث قرأت لكتّاب كُثُر كما غيري ربما- أضافة لما اختمر في ذهني من أفكار- ما أستطيع معه القول أن الدروس كثيرة ما بين سياسية واقتصادية وفكرية وقيمية واجتماعية...الخ، ذاتية وجماعية.

ومهما كتبنا فإننا نظل بحاجة لكثير من التأمل والمراجعة والنقد الذاتي، والبحث في ثنايا أنفسنا ما نجتهد من خلاله على تنمية قدراتنا ومهاراتنا وتنقية نفوسنا من الشوائب وتعديل مسارات كثيرة في حياتنا لربما ظننا أنها صحيحة.

وفي ظل الجائحة والقعود بالبيت وجب الالتفات لمفاهيم جديدة منها مفهوم الأنا والآخر، الأنا والعائلة والمساحات بيننا، وطبيعة تلقي وتبادل المشاعر والعثور على لغة لربما افتقدناها نتيجة انشغالات كثيرة خارج المنزل.

عموما نعود لمجموع الدروس من الجائحة -إضافة لما سبق-واضعينه في نقاط تستحق التفكّر كالتالي:

1-المحن مرآة كاشفة وفاضحة، ومجلّية للصفات، ومعرّية للحقائق والقيم والشخصيات والحكومات والمؤسسات.

2-المِحَن مدعاة لتقوية العزائم وقد تكون موهنة لها استنادا للطاقة الإيمانية لدى الفرد والتأهيل النفسي، فأن تكون إيجابيا في مواجهة الصعاب والأزمات ليست بالشيء الهين.

3-نعود بالقرن 21 لنتعلم قضايا أساسية بسيطة مثل كيف تغسل يديك؟! وكيف تحافظ على النظافة في بيئتك.

4-تعلمنا الاستغناء عن الوجبات السريعة! وأهمية الطعام المنزلي الصحي

5-ما حصل فيه إحياء لقيم التضامن، والحس الوطني، والمقاومة.

6-كشف عجز العالم في مجال الطب والأدوية والدعم، رغم تحول العالم لما يشبه القرية إلكترونيا.

7-تصدّع في فكرة العولمة، فهي لم تفد في محاربة الفيروس!

8-تعلمنا أن الخوف والرجاء والحب والأمل مشاعر انسانية جميلة، ويمكن تعلمها، وهي عالمية عابرة للقارات.

9-يجب الاهتمام بالإنسان والبشرية، وليس تعظيم الاهتمام بالاقتصاد فقط، أي مرابح الرأسمالية الجشعة على حساب صحة وسعادة البشر.

10-الاحتلال لا علاقة له بالجائحة مطلقا، فهو يستمر بانتهاكاته واعتداءاته وعنصريته وفكره التدميري للآخر، فالقيمة فقط له، كما هو الحال مع الفكر الامبريالي والاستعماري تماما. أي أن الاحتلال كما الوباء هو وباء يستمر بانتهاكاته حتى يُزال.

11-إن الكذب والتزوير والتعتيم على الحقائق لا قيمة له مع امتلاكنا الوعي والمرجعية الصلبة والمنهج الفكري السليم.

العُزلة والاتصال الاجتماعي

اضطررنا الى الخلوة والعُزلة والانفصال عن العالم بالجلوس في البيت ضمن الحجرالصحي الإلزامي. وكما نكرر دوما يمكننا اعتبار ذلك مصيبة، أو نعتبره فرصة وتحدي نتعامل معه كهبة وبإيجابية.

أما عن الخلوة والانقطاع والعزلة فإن افترضناها شكل طبيعيي للحياة بمعنى أن تكون العزلة دائمة وأبدية فهذا ما لانقرّه، وإن جعلته الصوفية من مبادئها السامية، ما يختلف عن الاعتكاف الديني كالاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

أما العزلة المؤقتة ما بين فترات عمل، أو فترات توتر، أو يوميا ضمن عقلية تنظيم الوقت، فإنها مما يُحض عليه، وليس على طريقة عُزلة الصوفيين أوالرهبان في الأديرة.

بمعنى أننا من أنصار الاعتزال اليومي لفترة محددة، ما يمكننا في هذا الوقت من عمل أمر أو أكثر من الأمور الثلاثة التالية:

1- نحن ننعزل أو نختلي بأنفسنا لنركّز، ونحن نركز لننتج أي لنقرأ أولندرس، لنرسم، أو لنصنع شيئا ما، او لنقوم بأي عمل مفيد يحتاج تركيزنا الذاتي.

2- نحن نختلي بانفسنا لنتّصل، بمعنى ننفصل لنتصل وكيف لا يفهم هذا الأمر! ونحن ننفصل عن المحيط والمشتّتات لنقتطع لنا وقتًا للتأمل الذاتي والتفكر، أو لمحاورة الطبيعة أو الكائنات، أو للتواصل مع الخالق عبر الصلاة والدعاء.

3- نحن نختلي أو نعتزل عن الذين يمتصّون فينا الطاقة الإيجابية بسلبيتهم وسوداويتهم وانتقاداتهم غير المبررة، وشكواهم التي لا تنتهي، وبوضع أنفسهم دوما في دور الضحية والمظلوم ، إذ منهم الشخص الذي لا يملّ البؤس والشكاية والتذمر لك! ما يجعلك أنت تختمر بالسلبية المنقولة منه فتصبح كالشمعة الذاوية،لذا ابتعد وانعزل عنه.

إن الأصل في الحياة هو التواصل لأن الخليقة المستخلفة للإعمار وجدت للتواصل والتعارف كما قال الله تعالى في سورة الحجرات: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات:13).

ووجد التقارب الاجتماعي والتواصل، وليس التباعد الاجتماعي (ما يتم الدعوة له حاليا في ظل الكورونا لظرف محدد وليس كأسلوب حياة طبيعي) والإحاطة بالأصدقاء كنعمة وطبيعة حياة، وكما يقول النبي عليه السلام: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِل."

كيف نخاطب الجاهلين؟

تجدُ مثل هذا الجاهل أو ذاك على مواقع التواصل الاجتماعي كثير، في كل شعوبنا، وعندنا في فلسطين بالطبع.

والردُ على الجاهلين يكون بالاعتبار من قول الله تعالى "واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" أي بالتجاهل والإعراض، او بالاحسان أو بأن نضع الموضوع بمقداره المحدد أي بمستوى ومضمون الكلام الجاهل.

ويقول الله تعالى أيضا: " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ " (القصص: 55)

فلا نعمم الكلام الجاهل -برأينا- على كل كلام الشخص،أي شخص، أونسحبه على كل عائلته ثم قبيلته ثم بلده!

فنكون أكثر جهلًا كما كتب برعونته الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم حين قال:ألا لا يجهلن أحدٌ علينا/فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

وإن كان لابد من جدال للجاهل أو الكلام مع الجاهل فنحن الخاسرون والتجاهل والقول (سلامًا) هو الأصوب، فالإمام الشافعي عانى من هذه النوعيات طويلًا حتى قال: ماجادلتُ عالما الا غلبته وما جادلت جاهلا الا غلبني.

وإن لم يكن الذي يقول الكلام القبيح جاهلًا فقد يكون أحمقًا يريد أن ينفعك فيضرك.

ويصح فيه المنقول عن الإمام ابوحامد الغزالي:"أشدّ النّاس حماقة أقواهُم اعتقاداً في فضل نَفسِه، وأثبتُ النّاسِ عقلاً أشدّهم اتّهاماً لنَفسِه ."

فلنتهم ذواتنا ونثبت عقولنا، ونترك تلك الفئة من الناس، فهم لحمقهم يظنون اعتقادهم لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه .

وإن لم يكن مَن نحاوره جاهلًا ولا أحمقًا، أو مسيّرا من غيره، فلنحمد الله فهو عالم أو مدرك أومنصف أو متوازن وهذا نحاوره أو نحاججه، وللحِجاج والنقد والاقناع مبادئ لا تحيد عن

الاحترام المتبادل

وحُسن تخيّر الألفاظ

وافتراض الصواب والخطأ في الرأي

وفق مقالة الشيخ رشيد رضا:"نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه."

سقوط الأضواء

في جلسة ضمت عددا من الكادرات الوطنية، دار حديثنا حول عدد من الشخصيات الاستعراضية التي أصبحت في موقع المسؤولية، أو الإدارة العليا لأن المسؤولية إحساس عالٍ لربما لا ينطبق عليهم، وهي شخصيات بهرها المركز وامتيازاته فأفسدته أو أفسدها -على قلة أو تفاهة هذه الامتيازات- كما بهرت آخرين الأضواء، ولمزيد من التأمل .

فالشخصية الأولى كانت لمغمور نضاليًا ووظيفيا وجد نفسه فجأة أمام عدسات القنوات الفضائية فطار عقله! حتى أنه فرض عليهم مناداته بلقب محدد رآه تفخيميًا وما هو بذلك .

وكانت الشخصية الثانية لمدير في موقع متقدم، كان يتذبذب دخولاً ثم خروجاً من الموقع لاسيما وهو موقع مرتبط بالتغيرات الوزارية فكان حين تسلمه الموقع/المنصب لا يكف عن المديح، وحين يخرج منه يلبس لباس الناقدين! حتى رشح نفسه في مواجهة فصيله في أحد النقابات .

أما الشخصية الثالثة فكانت لشخص لطيف هكذا عرفه أصحابه في الشركة التي لأسباب تتعلق بالولاء فيها أصبح مديرًا ذا صلاحيات واسعة، فلم تتسع له فرحة الدنيا، حتى أخذ يمارس استبداده على الناس من زملائه وغيرهم بطريقة مقيتة وغريبة عن مسلكه السابق .

الجامع الوحيد للشخصيات الثلاث هو الموقع أو المنصب أو المركز، والجامع المسلكي لهذه الشخصيات هو تغيرها نحو الأسوأ مسلكًا، وقيما، والرابط المتين بينهم هو الانبهار بالموقع .

لماذا يتغير الشخص للأسوأ حين يكون بالقمة أو حين يصعد في هرم السلطة في الشركة أو الحكومة أو الفصيل؟ سؤال تصدى له الكثيرون وأجابوا عليه، ولنا من النماذج عدد كبير لهذه الفئة، وكان من الآراء .

قال الأول: إن المسؤول يختار الضعيف ليظل معلقاً من رقبته لأفضال المختار .

وقال الثاني: الصراع دائم بين الكفاءة والاخلاص، ومتى استبد المسؤول أصبح همّهُ قتل الكفاءات وتصعيد المخلصين أو المهرجين وإن خابوا في مجال العمل .

وقال الثالث: من يفتقد القيم الدينية أو الوطنية أو المسلكية أو أي نوع من القيم أوالأخلاق الانسانية لابد أن يترقبوا فرصتهم للتعويض عن حقيقة الفقد هذه بمظاهر الثراء بمعنى أن ثراء الموقع يصبح تعويضًا لهم عن حالات الفقد أوالجوع أو النهم لديهم .

كانت التفسيرات المطروحة عديدة، ولكني أضيف لما سبق أنه عند الامتحان يكرمُ المرءُ أو يُهان ولذلك جُعلت الجنة والجحيم، ولذلك فإن المواجهة مع أي من خماسية: المال والنساء والمنصب والمعركة والتضحية هي مجالات ضخمة رئيسة يتبين فيها نوعية الشخص ومعدنه .

وفي مجال السلطة أو الحكم أو المنصب لطالما سقطت شخصيات عديدة بهرتها الأضواء واستطابت أقفيتهم الكراسي الوثيرة، وبرزت حقيقة شخصياتهم القميئة التي كانت تتغطى بشيء من اللطف أو الأدب أوالتواضع نتيجة الضعف أوالمرض النفسي، وليس لخلق أصيل فيهم، إذ سرعان ما يسقطون في امتحان الأضواء أوالكرسي أوالمال تحديدًا .

لقد أصاب عمر بن الخطاب حين ربط صلاحية الأشخاص بالاختبار، والاختبار المسلكي يظهر في التجارة أو السفر أو المعاملة عامة، ولا يظهر في العبادات فأنت حيث أراك أنا تعاملني– والعكس بالعكس– وليس حسب ما تظن أنك هو .

أنا لا أراك الا بمقدار ما تقوم به من عمل موشّى بالقيم، ليستقيم تقيمي لك ولا أراك الا بمقدار مداد مسلكك المعبّر عنه بتصرفاتك من قول وفعل التي تتأسس على حقيقة الأخلاق، وكل ما أنت عليه حقيقة إن كان كامنًا ومستترا يظهر على حقيقته حين المواجهة! وأين لنا بمواجهة أشد من مواجهة أوتذوق السلطة والمنصب والاضواء.

لماذا يبتلينا الله؟

كثيرا ما يتساءل البعض عن سبب الابتلاء من الله، في مرض أو نقص بالأموال أوالأولاد وغير ذلك من النوائب والمِحَن الخاصة أوالعامة، الى الدرجة التي تؤدي بالبعض لقلة الثقة بالنفس والجزع والتشتت، وتؤدي بالبعض الآخر لفقدان الإيمان، أو ضعفه رغم عديد الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث، والأدبيات التي تتعامل مع مثل هذا الموضوع الأزلي.

وعليه وبصورة ملخصة من الممكن أن نقول أن الابتلاء قد يكون لأحد اوأكثر من الأسباب الثلاثة الأساسية التالية:

1- لتمحيص المؤمنين وتمييزهم، بالدرجات، وربما كي لا يصاب الانسان بالغرور

2- لرفع الدرجات وزيادة الحسنات، ولرفع درجة الشوق الى الجنة.

3- لتكفير الخطايا ومحو السيئات، وشكر الله على نعمه عليك، وما أكثرها، حين النظر والتفكر والتدبر.

ويضيف العلماء بهذاالشان أيضا: أن الابتلاء تقييم لدرجة الايمان الذي محلّه القلب ومصداقه العمل، حيث قال تعالى: "أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ" (العنكبوت 12) .

ويقول السيد المسيح"لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لأني لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة".

من آداب التعامل مع المصائب

1-الصبر عليها (والصبر صبران صبرٌ على الفرح، وصبرعلى المكارِه)

2-الدعاء، وفي الدعاء لله سبحانة وتعالى استجابة.

3-اجتناب المعاصي، والتعلم والنقد الذاتي بعدم ارتكاب الأخطاء.

4-تغيير طريقة النظر للأمر، أو رؤيته من زاوية جديدة، والنظر والتدبر والتفكر

5-تحويل المصيبة الى نعمة أي بالتفكير الايجابي بتحويل الأزمة الى فرصة وتحدي وعمل دؤوب حتى تحقيق الهدف الجديد.

يقول عليه السلام: عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأحَدٍ إلاَّ للْمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ .

وقال تعالى: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم... " (ابراهيم 7)، وقال الله سبحانه وتعالى: "وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " (النمل 40)

واليكم دعاء دفع البلاء والوباء:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرْكِ الشَقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

في حوارٍ مع الرّسول؟

هو لم يفهم كيف تتداعى وتتكالب الأمم على أمة المسلمين؟

وهو لم يدرك بتاتًا أن المسلمين سيصلون في يوم من الأيام الى حالة من الذِّلة والخنوع والخوار تجعل جميع الأمم تتداعى وتتألّب بالعداوة عليهم؟ وإن ظهر لفاقدي البصر غير ذلك.

وكيف له رضي الله عنه أن يفهم حصول مثل هذا التداعي ! وهو من رأي في حياته أن الله أعزنا بالرسالة الجامعة! أعزنا وجعل لنا مهابة بأننا نمثل خيريّة الأمم بشروطها، وليس باختراع الابراهامية الاحتقارية للأديان اليوم، وعلى رأسها الاسلام !

لم يعزّنا الله بغيره سبحانه وتعالى، فمن اعتز بغير الله ذلّ، ومن اعتز بغير الحق والعدل والقيم السامية ذلّ وإن تكبّر فمكرُهُ يبور، فكيف ترى اليوم بمن يعتزّون بطغاة العالم الذين منهم عديد التلاميذ في مدرسة "ترامب" و"نتنياهو" وانعزاليي العرب، وسلاطين الفلين!

"مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ (فاطر10)"

كيف تتداعى الأمم علينا ونحن الأعزة بالله، المهابون لرفعة الكلمة وسمو الفكرة والعقيدة والقيم والأخلاق الجامعة والعمل المثمر، أن هذا لا يعقل أبدا؟ لربما هذا ما كان بعض مادار في خلده، أو بخلدي أنا لو شرّفني الله وكنت

مكانه في مجلس سيد الخلق ولو حلماً، فلم يفهم الصحابي الجليل منطق التداعي القادم لأنه لم يعلم الغيب، وارتبط بمعادلة يفهمها.

واليوم ومع انتشار مسحوق استمراء الاستبداد الذي يُمزج مع حليب الأطفال أصبحت الفتاة أوالشاب يافعًا لا يدرك الفرق بين تقييد عقله وخضوعه للسلطان وبين سقوطه في فخ العدو فكلاهما يعتقلان في الانسان عقله الذي تشرّب الخضوع منذ زجاجة الحليب الأولى!

كيف لثوبان أن يدرك أو يتخيّل ولو للحظة معنى (التداعي) ضدنا في ظل (العزّة) و(المهابة)! فهُما على طرفي نقيض، فمتى أعزنا الله بالاسلام، والقيم الجامعة، وجعل لنا (المهابة) في وحدتنا المفترضة في ذهنه حينما نصرناهُ فنصرنا، فلا يستقيم مع ذلك البتة أن تتداعى أوتتكالب علينا الأمم؟[1]

ولو! كل الأمم، ما هذا يا رسول الله!

لا مكان للشك عندنا أن التداعي[2] تداعي المتراكضين نحو الطعام كما شبّهه الرسول صلى الله عليه وسلم، ونحن معزوزين مهابين موحدين محال! فهل سيضربنا التداعي أوالتكالب[3] من الآخرين مستقبلًا لنقص إيمان أولانقطاع الاسلام! تساؤلات وتساؤلات تحوم!

تتداعى الأكلة (الأكّيلة بالعامية) للوليمة بيُسر وسهولة واطمئنان وبلا خوف وهكذا هو الأمر ضدنا...

أي يتداعون ضدّنا، ويعتدون علينا، ولا رادّ لهم!

بل نجد اليوم المعين والناصر لهم أي للمتداعين والأعداء والأكّيلة!

وهل من نهم بالعدوان والجبروت والعنصرية والاستعمارية والخرافات، والسيطرة و(اعتقال عقول القوم) مثل المحور الأمريكي-الإسرائيلي!

في مثل هذه الجولة من التساؤلات ما قد نفهمه -أن وضعنا أنفسنا في موقع الصحابي الجليل- في زمان ولّى يأتي من فرضية اختلال المعادلة، وقد نفهم أننا في معادلة العدد القادمة المرتبطة بالتداعي نحن بالتاكيد قلّةِ؟

هكذا لربما فكّر! فكان سؤالنا المطروح أمام سيد الخلق الذي رسم معادلة التداعي بالعداوة المناقضة لمنطق العزة والمهابة بوضوح.

"ومِن قلة نحن يومئذ؟"

فيجيبه-ويجيبنا- سيد الخلق بالقول الصاعق: "بل أنتم يومئذٍ كثير"!

أبدا لستم قلّة بل أنتم كثير!

ماذا وكيف ذلك؟

يعود الصحابي السائل ليفكر مجددا ويحاول أن يضع تقلّبات أحوال الألف سنة القادمة في ذهنه، دون أن نفطن في موقعِهِ للحظة الى سقوط القيم وسقوط الاخلاق وسقوط الرساليّين، وطغيان السلطان والهوى والنزق الى درجة الاستخذاء (الذل) خدمًا تحت أقدام العدو في مراحل عديدة من التاريخ حصل فيها علينا التداعي كما الحال الآن.

كيف له أن يخترق حاجز الزمن فيرى ذلَّ المسلمين وذل العرب؟ وسقوط مهابتهم، وهو لم يفكر يوما أن هناك من الأمة من يمكنه أن يعيد بناء فهم القرآن الكريم والقيم والأخلاق لتكون تبعًا لمصالح لذّته الآنية وفُحش يومه، على وزن (الجمهور عايز كده)! والجمهور حسب عديد الصحفيين العرب الانعزاليين وسادتهم من ساسة الغفلة والخنوع لا يبغون الا السلامة والعيش الرغيد والاستهلاك المتفاقم المرتبط فقط بالانبهار بالغربي، وحديثا

بالاسرائيلي! فلمن جعل قدم الصهيوني "ترامب" أو"نتنياهو" أو من على شاكلتهما تدوس خدّه برحابة، كيف تتأتّي له العزة والمهابة؟

وقع السائل في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في معضلة رياضية، وفي إشارة تاريخية أنه الصحابي ثوبان رضي الله عنه، فكيف له أن يفكك المعادلة دون مقوّمي أو عاملي القِلّة والكثرة مادامت المهابة والعزة بالاسلام، وما دمنا مسلمين فالعزة والمهابة معنا ولنا.

ولكن رسولنا الكريم يتنبأ للمراحل المتعددة في الأزمان الدوّارة القادمة ليرسم السقوط في صورة النتيجة حيث التداعي أو التكالب في صيغة البيان والتحذيرالمحمدي المغلّظ، الذي ينزع الذرائع والحجج من الانعزاليين والواهنين.

ما فهمناه من الحديث الشريف أن التداعي سيظهر جليًا،[4] ما لم يستطع السائل رضي الله عنه أن يفهمه أو يعقِله الا أن وضَعَ معادلة القلّة والكثرة فقط مقابل بعضهما البعض، لأن العوامل الأخرى ثابتة لديه، فكان لعجبهِ من التداعي السَلِس أو التكالب محلٌ في عقله فقط ضمن هذا المنطق القائل: إذن نحن قلة؟

ولما صعقه الرسول صلى الله عليه وسلم وصعق بالضرورة كل من في المجلس الكريم حين قال لا؟ تعلقت الرقاب بفمه الشريف ومخارج الحروف، ودارت في خلدهم جميعا وليس السائل فقط الأسئلة المفتوحة مترقبين الإجابة الشريفة.

وكأنني بينهم أرفع حاجبيّ عاليا متعجبًا!

فأنا لم أفهم قول رسول الله ونحن من أعزنا الله بدينه الحق (وليس الابراهامية الخداعة اليوم)، وجعل لنا المهابة! ونحن من نصرناه فنصرنا

ونحن من أعددنا لعدونا القوة ورباط الخيل! فلا بد أن في أمر التداعي سرٌّ ما؟

في اللحظات الفاصلة ما بين حديث النفوس المتلهفة والسؤال وإجابة الرسول الشافية ألف عام نعيشها اليوم أو أكثر حيث قال: بل أنتم كثير!

"بل أنتم يومئذٍ كثير"

سقط منطق القوة بالعدد، كما الحال اليوم حيث يتغلب المحتلون لفلسطين المدعين امتلاك بلادنا القادمين من كل بقاع العالم (على قلتهم العددية) على أمة لا إله الا الله! وكيف لا يتغلبون عليها -وهي أمة خاصة بكثير من قادتها وسلاطينها وأمرائها ورؤسائها وكبرائها- قد اعتنقت غير دين الحق وقيم الحق ومنطق الحق والعدالة؟ فمن يضع خدّه تحت حذاء عدوّه طواعية! ويطرب لبربرته الغريبة؟ ويقدّس منه الرأس والحذاء! كيف له أن يتمتّع بما اشتهرت به أمة العرب وبرسالتهم الخالدة الى العالم أي بالعزة والنصرة والكرامة والإباء والمهابة؟ والتي في مجملها تتجلى بالوحدة!

"بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل"[5]

ولأنكم أصبحتم كثير كغثاء السيل مفرّقين مشتتين متنابذين متقاتلين تستمرؤون كل ذلك، فحق على الله أن يعاقبكم بسوء أفعالكم ضمن معادلة الخير والشر، ومعادلة لكل أمر عاقبته، وكأنه تحليل اجتماعي اقتصادي سياسي قِيَمي لتبدل الأحوال في الأمم، وفي أمة المسلمين.

عقابكم من أيديكم أن عدوكم أصبح لا يهابكم، (والطامة الكبرى أنكم أصبحتم لا تعتبرونه عدوًا)! وكيف يهابكم؟ (أي يعظّمكم ويقدّركم ويحترمكم ويخافكم) وأنتم أفسدتم عوامل قوتكم بأيديكم! وركعتم أمامه بذلٍ لم يقبله أبوعبدالله الصغيروهو يسلم مفاتيح مدينته.

يداك أوكتا وفوك نفخ[6]

ركنتم للدنيا وحياة الذِلة والخنوع فلم تعودوا مُهابين محترمين مقدرين، وكيف لكم أن تكونوا ذوي عزة ومهابة وقوة وأنفة وشرف وكرامة وأنتم تنبذون العلم والصناعة والزراعة والاقتصاد، والجغرافيا الغنية التي تجمعكم، وتقتلون متعمدين العلماء والمبدعين والمفكرين وتنصبون الأفخاخ للأحرار، ولا تفهمون معنى الابداع ولا الوحدة الجامعة ولا الحرية ولا الحق ولا العدالة ولا فلسطين، وأضفتم عليها مؤخرا افتقادكم مهابة التمسك بالعقيدة وبالمباديء والقيم والأخلاق.

"ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن"

وأكاد أترجمها بلغة اليوم ألا لعنة الله عليكم، يا أنجاس!

لقد أفسدتم الأمة ودستم بأرجلكم الغارقة بالوحل على القيم والأخلاق والمباديء.

وبعتم دينكم وعروبتكم الممهورة بالرسالة المحمدية بأبخس الأثمان أي بعروش أجسادكم الفانية

وعقولكم الخاوية وعيونكم الواهية الواهنة[7] التي لا ترى إلا من حيث تنبت الفضائح وتظهر القبائح.

فكان الوهن ما هو حب الدنيا وعبادتها بالعمل الفاسد، وكراهية أعمال الخلد هي صورته الجليّة.

"حب الدنيا وكراهية الموت"[8]

ألا لعنة الله عليكم أنتم يا أيها الغثاء الوسخ الذي لا قيمة له، بزعمائكم، وبسكوتكم عنهم حين طردتم من بيوتكم ملائكة الرحمة، وحين فتحتموها ليتوسّد المجلس فيها أولئك الذين آذوا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومازالوا يفعلون، ومازال أتباعهم من أولئك المستعمرين المحتلين منعدمي الأخلاق المؤذين، يسيرون على درب الأذى يؤذون الأمم جميعا.

إنكم غثاء (قاذورات) فلا قيمة لكم ولا هيبة ولا ثقل ولا احترام ولا تقدير مطلقا؟ وكيف تكونوا بثقل الاحترام والتقدير بين الأمم وأنتم مشتتين شذر مذر[9]

وقد نمتُم وخلدتم للدِعة والذِلة والرخاء الموهوم، وسفاسف الأمور، وللاستهلاكية الذليلة للآخر، ومالئتُم[10] سلطانكم، دون أن تُلقوا أذنًا لصوت فقير أوأسير أو شهيد أوداعٍ عليكم أومجاهد ومرابط ومقاوم أوحتى مواطن عادي شريف ... فآثرتم الحَياة الوضيعة، على مهمة الجهاد بكل أنواعه في سبيل الرسالة، وفي سبيل فلسطين التي هي اليوم شئتم أم أبيتم رمز عزتكم ومهابتكم المفقودة، وهي اليوم أحد كواشف الإيمان عند أصحاب الرسالة، وهي اليوم فلسطين اليوم عنوان العزة والمهابة والوحدة والكرامة والنصر.

الحواشي

---

[1]عن أبي عبد السلام، عن ثوبان، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم

الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت."

[2] تَدَاعَى الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ: تَجَمَّعُوا عَلَيْهِ بِالْخُصُومَةِ وَتعَاوَنُوا. وفي الحديث الشريف يصبح المعنى: تجتمع عليكم وتتألّب بالعداوة.

[3]نحن نستخدم مصطلح التكالب بينما الرسول العفيف اللسان العظيم الشأن استخدم مصطلح التداعي، ومعنى التكالب باللغة: تكالب الزَّمانُ: اشتدَّ، تَكالَبَ الْمُتَخاصِمونَ : أَظْهَروا العَداوَةَ، تَجاهَرُوا بِها، تكالب القومُ على جمع المال: حرَصوا عليه وتواثبوا، كما تفعل الكلابُ، تَكَالَبَ القومُ: تجاهروا بالعداوة، وتكالَب الناسُ على الدّنيا: اشتدّ حرصُهم عليها حتى كأنّهم كلاب.

[4]د.خالد الشايع في شرح الحديث الشريف، ووقوفا عند كلمة تتداعى يقول تتداعى بمعنى: "أن يدعو بعضهم بعضًا لأجل الاعتداء عليكم ومقاتلتكم، وسلب ما ملكتموه من ديار وأموال، وما عندكم من خيرات، فإن قوله عليه الصلاة والسلام: (كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)؛ بمعنى: أنهم يشاهدون ما في أيديكم من أنواع الخير الذي يَفيئه الله عليكم."

[5] غثاء السيل هو ما يحمله سيل الوادي من أقذار وزبد وفتات، والأصل بالسيل الماء، فلسنا الماء بل أقذر ما فيه والهامشي فيه، لا قيمة له .

[6]يداك أوكتا وفوك نفخ، يُضرب هذا المثَلُ لِمَن كان سبب هلاكه مِنْه. حيث في أصل المثل: أن يديه قد شددت عنق القربة وفمه نفخها، فإن لن يتقن ذلك وهلك بسببه فهذا عليه.

[7]الوَهَن: هو أن يفعل الإنسان فِعْل الضَّعيف، تقول: وَهَن في الأمر يَهِن وَهْنًا. وهو وَاهِن إذا أخذ فيه أخذ الضَّعيف، ومنه قوله تعالى: "وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ

تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ" (آل عمران: 139)، أي: لا تفعلوا أفعال الضُّعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه بتذليل الله إيَّاه لكم.

[8] ليس المقصود في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعريفه للوهن بأنه حب الدنيا وكراهية الموت - المعنى الظاهر أن الإنسان يحب الدنيا، وأن الإنسان يكره الموت، فليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود منه الجانب السيئ الذي يحمل الإنسان على حب الدنيا وأموالها، وحب البقاء فيها على سبيل الدِعة والقعود عن العمل، ونسيان الآخرة، وليس المقصود بكراهية الموت المعنى الظاهر لأول وهلة، فكلنا يكره الموت؛ كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لَمَّا سمِعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كرِه لقاء الله كره الله لقاءه"، قالت: أكراهية الموت، فكلنا يكره الموت.-من تفسير د.خالد بن عبدالرحمان الشايع للحديث الشريف على موقع الألوكة على الشابكة .

[9]شَذَرَ مَذَرَ :تركيب يفيد التفرُّق والتشتُّت.

[10]يُماليء السلطان بمعنى يماشيه، ويناصره ويعاونه.

بين أوتار العود وصراع الوجود

عندما وجّهنا السؤال لعديد من الأخوات والأخوة حول ماذا تعني لكم فلسطين؟ وماذا تعني لكم القضية الفلسطينية؟ وماذا تعني لكم الحركة؟ وكيف ترون الصراع؟

تنوعت الإجابات وكأنك بهذه الاجابات تعزف على العود كمّثري الشكل ذو المسارات الستة للأوتار المزدوجة، فلكل أن يستخدم من الأوتار ومساراتها ما يجعل من اللحن مقبولًا.

ومن الآذان تلك التي تستسيغ العزف والجمال، ومن الأيدي مَن تعزفُ الجميل، أو بالمقابل النشاز الذي استمعنا له في أحيان كثيرة داخل الحركة والثورة الفلسطينية نتيجة الصراعات الداخلية.

من الذين أجابوا عن حركة "فتح" كان من قال أن "فتح" تمثل طريقا طويلا أو دربًا شاقًا لكنه واضح المسار والنتيجة، وهو ممهّد في مساحة له، وذو مطبات كثيرة وعثرات.

هناك من نظر لفتح الوحدوية، والعربية كأنها تكره الألوان لذا فهي بلون التراب الذي يمتزج فيه الكلّ الوطني، كما تمتزج الألوان كلها، ويشارك ويقدِم.

ومن نظر الى حركة فتح كأنها وعاء رآه يتسع للكل المتلحف بأفكاره الأيديولوجية ليدخل الطريق أوالوعاء، فضم هذا الوعاء كل من القومي

والاخواني والاشتراكي ممّن ترك رداء الحزبية، الذين استطاعوا أن ينصهروا داخل الوعاء ليكوّنوا نسيجًا وطنيا موحدا.

ومنهم من نظر الى الحركة أو الثورة أو المقاومة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية كأنها بيت بأبواب متعددة وشبابيك كثيرة وهو يتصف بمجموعة من الصفات .

فهو بيت دافيء

وبيت كبير

ولكنه على ذلك متعِب.

في هذا البيت الرحب المتسع للجميع الكلّ يدخل من أجل فلسطين أو لغرض في نفس يعقوب عند البعض، فالدعوة وُجّهت للجميع، ولا يخرج من الحركة –عدا قلة شاذة- إلا من قرر الخروج بيده هو وبارادته هو.

في هذا البيت الدافيء لن يجد الداخل كل ما يسرّه، فلحظات الإقدام والسرور، والسعي للتحريرقد تمتزج فيها مع الدم والدموع ومع كثير عقبات ومع أحزان وصراعات.

في هذا البيت سيجد الي ذلك ما يغيظه (ويفقع مرارته) لذلك فإن دخول البيت يعني أن يشمّر الشخص ساعديه ليخوض الصراع بلا هوادة.

السؤال بالنظرة للحركة مشروع بعد هذه المسيرة الطويلة التي حققت فيها التجاوز، والعبور بين الأشواك، وتخطى حواجز المراحل ما يحتاج فهم لنفسية وطريقة تفكير هذه الحركة والثورة، وكيف نحن نعمل على الاستمرار

فيها في إطار فهم الصراع ونفسية الثائر وعقلية المِقدام الى جانب الانتهازي وذو الشفة المشرومة.

يخوض الشخصُ أو الكادر صراعه في اتجاهات متعددة: فهو يخوضه في سياق الإطار الذاتي أي الصراع الشخصي الذاتي، وما دام الانسان قد انضم لمجموعة أو كيان فهو بداخله يخوض صراعه الداخلي في بوتقة الكيان أو الجماعة أو التنظيم.

الصراع عامة قد ننظر له ذاتيًا في داخلنا (الجهاد الداخلي)، وداخليا في إطار الكيان (التنظيم) والصراع الخارجي الذي يجب أن يكون فيه المبدأ والفكرة واضحة والعدو محدد حيث نقطة الالتقاء فلسطين، ونقطة الانفصال هي عن الفكر الصهيوني الاستعماري (الاستخرابي بالحقيقة) الاحتلالي، وهذا الالتقاء والانفصال لن يتحقق الا بالتحرير، وهذا الصراع الخارجي أي مع العدو الرئيس هو سبب الانطلاقة وهو مبرّر الحركة والثورة عامة فلو لم يكن لما وجدت الثورة والمقاومة والكفاح ضد الاحتلال.

إن الثورة أو حركة فتح البيت أو الوعاء، أو الطريق المعفّر بالتراب، أو العود بأوتاره هي حركة مثّلت لنا بحق مسيرة حياة ومنهج فعل، كما مثّلت نقطة تجاوز وعنفوان متصل.

نرى الصراع الداخلي بنتيجته إما صراعًا حديا اقصائيًا، إما أنا وإما أنت، وإما صراعًا يؤدي لاستكانة أو انهيار أوانسحاب واما كما نريده نحن صراع صلابة ذاتية داخلية في مقابل مرونة خارجية.

ولكي يكون الصراع داخل الثورة والمقاومة والحركة مجلبة للتجدد والتغيير والابداع ثم النصر بإذن الله، وليس مجلبة للشر والفرقة والشقاق كان لنا

ونحن خائضوه داخلها (بصلابة داخلية ومرونة خارجية) أن نتسم بالرسالية من حيث الإيمان والثبات على القيم والفكر والنموذج، وأن نتسم بالجذرية التي تعني امتلاك عقلية النضالية في مواجهة نهج السلطوية الاستبدادية والوظيفية، وكان لزاما ان يكون نضالا ذا ديمومة ومثابرة خطوة يتلوها خطوات وتناغم ودعم متبادل.

مثلت لنا الثورة -ومما قالته الأخوات والأخوة ولخصّته مجمعًا هنا -قدرة على شحذ الهمم مهما ادلهمّت الخطوب وتكاثرت الغيوم، وكبُرت الطيفيليات في الجسد، فكانت كتابًا لمن يبتغي أن يتعلم العزف والثبات والإقدام بالطريقة الصعبة اي عن طريق العملي وليس النظري.

الأميرُ القديمُ!

لماذا يضيقُ صدرُك حين أُخالِفُكَ؟

وتتحشرجُ أنفاسُكِ... فلا تَرُدّ؟

تغضبُ

وتثورُ

فتتجهّم...

وتُلقي شفتك السفلى عند حدود عالمي

وقد تشتِم!

لماذا تُعرضُ عن عِلمي

وأدبي

وحُسنَ فهمي

وقدرتي على السباحة!

بل، وعن مفاتيح خياراتي

وانفتاحي العريض !

إنك تُعرِض عن وضاءة وجهي

ورقبتي الطويلة

وتنيرُ دربَك المطوّق بالجاهلين!

تتأملني من زاوية عينِك الثقيلة المرخِيّة

وتضعُ في صدري غطرسةَ قدميك

واشتعال شيب أفكارك

وتعجّلك المريض

وعجز خياراتك

أتراني أتساءل عن غفلتك العجيبة!

أو طغيان ذاتك، أم نزقك الشخصي؟

أم أن الآذان فيك وحولك دومًا غير مصغية

امتلأت قِدرُك بعظام المعارضين.

في بحيرة الفاسدين

وتاقت نفسُك للخلود!

فعاشت وَهْم السموّ!

يا أميري القديم!

أليس لديك القدرة على التنفس في هواء البستان الحرّ؟

وهو فيه تجتمع النعمُ واللا وتتحاوران بحرية!

أم أنت من يضيّق على نفسِه ويتشرنق، ويكره الحرية؟

فالحرية نقيضُكَ، نقيضُ الاستبداد

نقيض استبدادِك على روحي وصدري يا حبيبي!

أترى الفراشة تطيرُ إن لم تنزع عنها شرنقتها؟

أنت مشرنقٌ

وأنت بلا جناحين

وأنت غير جسور

لأن من يسوّر "ذاته العليا!"

خائفٌ باستبداده

ومرعوبٌ بقساوته

وصديء بماضيه

هل أقول: حقود أيضًا؟

وقابلٌ للكسر

مهما توهّم

أو أوهَمَهُ المتزلّفون بأنه بحجم الجبل!

هكذا قالت لي حبيبتي....

متى قالته؟

قالته وأنا في قمة غضبي واستبدادي ونزقي وترف أيامي،

وتابعت:

أتراكَ نسيتَ حليبَ أمكِ

ومن على أكتافهم رُفعتَ ذات يوم؟

أم نسيتَ رائحة الياسمين؟

ولقاؤنا المجنّح بالحُب ذاتَ يوم

ألم يعد عند حدود الزمن الا أحلام ماضيك الضيق

وأنا لستُ فيه!

لأنك تُشرنِقُ فيه مستقبلي... ومستقبلَ الآخرين؟

أنت الملولُ غير المعقول

المخبولُ بسوء خياراتك

اعذرني يا حبيبي...

هل تراني أقسو عليك؟

وإن ظننتَ ذلك، فلأنني أراكَ تكرهُ ما سِواك

ولا تستمعُ إلا لذاتك المتشرنقة.

حين أنتقدُك

تهزّ كتفيك رفضًا

قبل أن أتفوه بكلمة

وحين أتكلم لأحاول أن أُسمِعك

لا فائدة!

إذ سرعان ما تنقلب سِحنتك الى قساوة !

أنت من يلقي بكلامنا في سلّة قساوتِك

لأنك في بحر أوهامك غارق.

....

قالت لها صديقتها البجعة: دعيه !

14/3/2021في فلسطين-رام الله

ياسر القلب الآسر

هل للظلمة وقلوب الفقراء... الا ترقب الضياء؟

ومن لعتمة النفوس الحيرَى الا وقودٌ محملٌ بعِطر الشام

ومحملٌ بأطايب الحجاز واليمن

ومما تسجله أشعارُ فلسطين في دفاتر ذكرى الخلود

وقودُ هنيهات السعادة المتقاطرة على رؤوس الصبايا...

في حصن الندى المكلّل بروايات الجدّات...

وعبير الأمنيات الصاخبة...

الراكضة نحو الهُدى .

لله دركم أيها الأنبياء

المكبلون بقيود...

البشاعة والظلم والانسحاق...

في سجون النازيين العنصريين الأفاكين .

ولله درك من أوسطهم يا ياسر القلب الأسير،

القلب الآسر لنا

منذ فتحتَ في كتاب الزمان صفحة،

وفي عطفة السماء فُرجة.

أصبحنا لا نستطيع أن نشخصَ للأعلى...

وننظم الدعوات كحبات العقد الا من منها .

من فُرجتك، فتحتك، زاوية حضورك...

بها كانت مناراتُ الطريق كثيرة....

عبرها استطاع الثوار والمجاهدون والصابرون...

اقتناص الشموس

من سماءات الكون الفسيح .

استشاطوا غضبًا

وانطلقوا بركانًا.

من حِدة الشظايا المتكسرة...

من أمواج بحر قلبك المتين

ارتفعت الهيبة كفعل الفقراء

ياسر درة البعيد

وبلسم القريب .

وقدوة الأسرى في المعتقلات

وأسرى أنفسهم أو شجون عذاباتهم .

ياسرُ طيف النور الواثق

والبارق

والساحق

الذي ما أن ينفذ من زجاج عقلك...

حتى تكون قد امتلأت عنفوانا وثراءً وعبورا.

أمك مازالت بانتظارك؟

ونحن.

*ياسر أبوبكر هو شقيقي القيادي في الثورة الفلسطينية وحركة فتح الأسير منذ العام 2002 والذي يقود حركة الجماهير والفعل الرسالي من معتقله.

المريض السعيد!

نقل لي صديق أصيب بالمرض الخبيث جزءًا من الأسرار التي أبقته على قيد الحياة ممتنًا ومتزنًا ومبتهجًا وسعيدًا، في ظل تغلغل المرض فيه بشكل أكل جزء كبير من جسده وتواصل، وهو إذ يكشف السرّ هذا فإنه أرسل رسالة تحية لكل من ساعده في تجاوز حالات القلق والألم والضيق المصاحبة لمرضه الشديد.

قال لي أن الابتسامة هي التي جعلته يقاوم المرض ويتجلّد.

وقال لي ان الكلمة الطيبة هي المفتاح الثاني الذي جعله يقاوم ويتخطى.

وقال لي أن النَفَس الإيجابي في الحديث معه هو المفتاح الثالث الذي ساعده في تخطي المسافة بين الإغراق في السوداوية وبين الانطلاق نحو فضاء المحبة والسعادة.

كنت انتظر اللحظة التي أصل بها المستشفى على أحرّ من الجمر!

وقد يرى الكثيرون في ذلك غرابة، فالأصل أن الإنسان يرتاح خارج المشفي الذي يذكّره بالمرض!

ولما رأى عجبي!

قال: لا تعجب!

فلقد كنت أترقب ابتسامة الممرضة التي كانت تراني، وكأنها رأت كنزًا ثمينا، فتبدأ بذكر القصص والأحاديث الايجابية والشيقة التي لا صلة لها بموضوع المرض، كل هذا وأنا أتوجع...

لكني بذات الوقت أشعر بالسعادة...

لقد كنت أطير تمامًا.

لقد ذكر لي الصديق الذي غادرنا منذ فترة الى رحمة الله، أنه عاش كل أيام المستشفي في فرحٍ غامر لم يشعر به طيلة حياته.

رحمك الله يا أيها الصديق الجليل والجميل

ورحم الله من أعطي للحياة معنى عظيم بالعمل والاستخلاف والبِشر، عندما جعلها تنطلق من قوانين المحبة بالايجابية والابتسامة والكلمة الطيبة، حيث كان للرسول محمد صلى الله عليه وسلم قصب السبق في هذا الأمر.

وكيف لنا ألا نقول ذلك!

وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة" والقائل "كلُّ معروف صدقة، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق"، أي بوجه بشوش مبتسم.

قال بعض العارفين: التبسُّم والبِشْر من آثار أنوار القلب، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (عبس: 38-39)

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو القائل أيضًا: من تكلم منكم "فليقل خيرا أوليصمت"، أي إما أن يكون ايجابيا خيّرًا محسنًا، أو ليبتعد ويلزم لسانه. وقال الله تعالى "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً" (البقرة: من الآية83).وقوله

تعالى ضمن آيات كثيرة "وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء: من الآية53).

وهو القائل أيضًا صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الطيبة صدقة".

ويشرح الشيخ ابن عثيمين قائلا: الكلمة الطيبة في غايتها فهي الكلمة المباحة؛ كالتحدث مع الناس إذا قصدت بهذا إيناسهم وإدخال السرور عليهم، فإن هذا الكلام وإن لم يكن طيبًا بذاته لكنه طيب في غاياته في إدخال السرور على إخوانك، وإدخال السرور على إخوانك مما يقربك إلى الله عز وجل.

ما أجمل السرور والجمال والوضاءة مع كلام سيد الخلق متعنا الله وأياكم بلقائه يوم العرض الأكبر، في عليين.

يقول اخصائي الصحة النفسية د.عمار التميمي: إن العلاقة بين الصحة النفسية والصحة الجسدية علاقة توأمية، أي أن كليهما يؤثر في الآخر، مضيفا أن 90% من أسباب الأمراض العضوية (الجسدية) هي نفسية.

ويشير د.التميمي الى أن الكلام الإيجابي يؤثر بالصحة النفسية بل والجسدية، حيث يؤدي لافراز هرمون الإندروفين والسرتونين وهي هرمونات السعادة التي تعمل بشكل أو بأخر كمضادات للألم.

الصديق المريض السعيد الذي أمسك مفاتيح السعادة في قمة مرضه، فتوازن، لم يكن من أولئك المتدينين،غفر الله له، ولم يكن من أولئك القريبين من فرائضهم كثيرًا، لكنه كان شخصًا فهِم المعادلة بخير العمل بين البَشر، وبقانون المحبة والبِشروالايجابية والكلمة الطيبة، الذي نتمنى له به الغفران والرحمة.

نحن وحلاوة الدنيا.

كيف يكون الحالُ حين تخورالقوى وتضعف الإرادة، وتتوقف الحوافزالذاتية عن الفعل؟

وكيف الحال حين يهتزمن الأيمان ركنٌ، أو تدخل عوامل مختلفة لتُعلي من شأن التذمر والاهتزاز والكآبة وتثير التذبذب والكوابيس والشعور بالمرارة وافتقاد الحلاوة؟

وكيف هي الحياة عندما يُفقَد الطعم الحلو، فلا يتم التمييز بين الأمور، أوتصبح كلها متماثلة؟

أو تفقدبُعدها المعنوى؟

البُعد المعنوي للأشياء حيث الربط بين الشيء أو الحدث أو الشخص مع الذكرى والانطباع والديمومة للمعنى هو ما يعطي للشيء قيمته، طعمَه، بهاءَه، وحلاوَته.

الحياة الخالية من حوافزها الذاتية، وللبعض الخارجية، وذكرياتها المرتبطة وحُلم الانجاز أوأمل التجدد أو رغبة الانتصار تصبح عرجاء.

أو لعلك تراها حياةً بشعة... لاتستحق!

لربما يصبحُ الربطُ قائما في كل شيء مع الموت أو النهاية، أو الفقدان أواللامعنى... فتتداعى الذكريات والمعاني المرتبطة بالخُسران والانهيار والفناء!

بلاقيمة أو زكاوة أوطعم أو حلاوة هو الشكل الذي تكون عليه النفسية المصدومة أو المريضة جسدياً أوعصبيا أونفسياً، ولعل تواصل مثل هذه الحالة يعتمد على المسبّبات من جهة، وعلى الأثر الذي تتركه في قعر الذات...

فلا قيمة ولارغبة، في أي شيء.... حتى في البقاء!

يكونُ الوضعُ مُربكًا نفسيًا حينما تتحول كافة الأشياء لأمرٍ ثانوي وعديم القيمة، ولايبقى في الذاكرة من فرح الأيام الخوالي...

إلا ذكريات مرة!

يتساءل المرءُ كيف الخروج من الحالة؟

فتأتيك الأجوبة الجاهزة بالصلاة والدعاء والايمان والاصرار والعزيمة والصبر والرضا...الخ

وكأنها وصفات جاهزة مكدّسة على رفوف، أو وصفات تُباع وتُشترى في سوق الخضار، على أهميتها الأكيدة...

ولكن كيف الوصول للرف؟

يتساءل المرءُ كيف يحفّز ذاته، وكيف يشحن بطاريته (إرادته) وكيف يستعيد قيمة الأشياء والأفعال والذكريات لديه ليسعد؟

يقول تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَمَجْذُوذٍ (هود108)) حيث تكون السعادة برحمة الله بإدخال المؤمن الجنة، ما لايعني الاعند المتشائمين أن لا سعادة بالدنيا!

والحقيقة ان السعادة هنا بالدنيا، وبرحمة الله بالأخرة بدخول الجنة وشتان بين السعادتين ولكنهما سعادة.

الكاتب عبدالله الوهبي محاولاً تفسير الحالة المتكدّرة يقول أننا نعيش: (بؤس الروتين والكدح المستمر من غير أفق لراحة مُرْضية، والتأرجح الدائم في (بندول شوبنهاور)[1]بين الضجر والملل، فنسعى للمرغوب، وحين نحصل عليه، ما نلبث إلا أن نملّ، ثم نعاودالبحث عن مرغوب آخر، وهكذا في تأرجح أبدي).

وفي المقابل يقول مؤسس شركة التفاحة الشهيرة (أبل) "ستيف جوبز" رافعًا من قيمة الهدف والإنجاز والتجدّد لاكتساب القيمة والهدف والمعني للأشياء: "اجعل البساطة هى التى تحكم".

ويقول: لا يهمنى أن أكون أغنى رجل، قدر مايهمنى أن أعود للفراش في المساء وأنا أشعر أنني قمت بشيء رائع.

ويقول أن: التجديد هو ما يميّز القائد عمن يتبعه.

لربما يتساءل المرء أيضًا كيف يستطيع استرجاع طعم الحياة التي أصبحت نسيًا منسيًا في خضم الألم أو القلق أوالكآبة أو المرض أو الجائحة التاجية أو القهر أو الكارثة أو الموت أو الانهاك النفسي أوافتقاد الذكريات الجميلة؟

أصبح الطعمُ في فمي مُرّا!

فكيف بالله عليك تُحوّل الحنظلُ المُرّ الى بطيخ حلو أو فاكهة لذيذة؟

يكتب عبدالمجيد دقنيش[2] محاولًا التفكير والإجابة بالقراءة وتأمل النِعَم : ماذا لو تركنا كل أحزاننا وذعرنا وخوفنا من (الموت)، وعدنا إلى قراءة حكمة الموت في "حديث المقبرة" لأبي القاسم الشابي و"جدارية" محمود

درويش، ومرثية مالك بن الريب[3] لنفسه. وأشعار أبو العتاهية. وفلسفة "اليوم الأخير" لميخائيل نعيمة[4].

ماذا لو انتبهنا وأحصينا كل هذه النِعَم المسكوت عنها والمخفية التي يقدمها إلينا هذا الزلزال الفيزيائي والعقلي على طبق من ذهب.

وفي التأمل كمخرج، أو كبداية وإن كانت النهاية تقترب يتحدث الفلاسفة والمفكرين والشعراء ومنهم الشابي ودرويش وابن الريب ونعيمة وغيرهم الكثير.

ومما قاله الشاعرُ أبوالقاسم الشابي في "حديث المقبرة" متأملًا: تأمّـل .. ، فإن نظام الحياةِ نظامٌ ، دقيقٌ ، بديعٌ ، فريد فما حبّب العيشَ إلا الفناء ولا زانه غير خوف اللحود، ولولا شقاءُ الحياةِ الاليمِ لما أدرك الناسُ معنى السُعود ومن لم يرُعه قطوب الدياجيرِ لم يغتبط بالصباح الجديد.

ويقول محمود درويش في جداريته "كلما فتشتُ عن نفسي وجدتُ الآخرين. وكلما فتشت عنهم لم أجد فيهم سوى نفسي الغريبة".

ويتساءل: "هل المناخ هناك معتدلٌ؟ وهل تتبدلُ الأحوالُ في الأبدية البيضاء،أم تبقى كما هي في الخريف وفي الشتاء؟ وهل كتاب واحد يكفي لتسليتي مع اللاوقت، أم أحتاج مكتبة؟ وما لغة الحديث هناك، دارجة لكل الناس أم عربية فصحى؟"

يقول الأمير الصنعاني[5]:

طعمتُ حلاوَة الأشياء طرّاً** فلا شيءٌ ألذّ من السكوت

وخيرُ مجالس الدنيا جميعاً**مجالسة الدفاتر في البيوت.

الصمت تفكّر وعبادة وتأمل وفي ذلك رياضة وحلّ

ولربما كان الكتاب للأمير الصنعاني ولنا خير جليس ذاك فيعصر الكتاب الذي يعني حيوات تُضافُ الى حياة بحيث تكون الحياة الجديدة حياة تغيير تنتشل الشخص من حالة الى حالة....

أنظر (النقلة) من حالة الى حالة وفي هذا جهد ذاتي كبير.

وفي حلاوة الحب وزكاوة الأشياء يقول زكي مبارك[6]:

إذا ضممتُك ثار الكونُ أجمعه**ثور الرياح بقلب البلبل الغَرِدِ

أخافُ من جمرةٍ في الخدّ تفتنني**إني أعوذ بهذا الواحد الصمد

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه في الغاية والحب والاطمئنان: "والله لو طهُرت قلوبنا، ماشبعت من كلام ربنا".

والى ذلك "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًاعَظِيمًا" (الأحزاب: 71).

وفي ذلك حلاوة وغاية وحب.

ويقول تعالى"اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"، ويقول "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِأ َلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ".

ويقول نبينا الأكرم عليه السلام: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".

أي أن الحل بالحب بكافة أشكاله وأعلاها حب الله وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وذاك غاية وهدف، وهذا مدخل لذاك والعكس بالعكس.

وفي الحب نقرأ الكثيرجدًّا، ومنه شعرًا حيث يقول ابن الرومي:

وحديثُها السحرُ الحلال لوَ اَنَّـها**لم تجنِ قتلَ المسلم المتحرِّزِ

شرك النفوس وفتنة ما مثلُها**للمطمئن وعُقْلة المستوفِزِ

إنْ طال لم يُملَل وإن هي أوجزت**ودَّ المحدَّثُ أنها لم توجز

ويقول الشاعر الكبير عمرالخيام منظرًا للحظة المعاشة

لا توحِشِ النَفْسَ بخوف الظُنونْ**واغنم من الحاضر أمن اليقينْ

فقد تَساوى في الثَرى راحلٌ غدًا**وماضٍ من أُلـوفِ السِنينْ

ويقول الشاعر العربي المصري محمود غنيم[7] داعيًا للتفكّر والتأمل

لكأني بالسموات العُلاَ**باسمات الثغر من صنع البشرْ

أبحثوا -من أين جئتم- أولًا**ثم والوُا البحث عن أهل القمرْ

لعلي -مع فهمي وقربي من كل ما سبق- أتفهم أيضًا قول إمامنا الشافعي لاستشعر حلاوة الأشياء وطعم الحياة ولذائذ الأمورحيث قال: "طلبنا ترك الذنوب، فوجدناه في صلاه الضحى. طلبنا ضياء القبور، فوجدناه في قراءة القرآن. وطلبنا عبور الصراط، فوجدناه في الصوم والصدقة. وطلبنا ظلّ الرحمن فوجدناه في أخوة صالحين".

وعن الأشخاص المحبين أوالقريبين الى قلبك الحزين، أو الاخوان الصالحين بمنطق الإمام الشافعي يكون الاتصال الفعّال هو الحل.

حيث أن:"البشر مخلوقات اجتماعية، فلدينا حاجة فطرية للاتصال بالآخرين، وللتفاعل ضمن مجموعة ننتمي إليها. ووفقًا لأطول دراسة حول السعادة

والرضى عن الحياة، أجريت على مدار 75 عامًا، تكمُن الحياة الطيبة في جودةعلاقاتنا".

يقول قائد البحث، البروفسور "والدنجر":"إن قضاء الوقت مع الآخرين يحمينا من كدمات الصعود والهبوط في الحياة المتقلبة". ونحن لا نتحدث هناعن الأصدقاء فحسب، بل كذلك عن عائلاتنا وأطفالنا وأشقائنا وشبكة معارفنا-مجلة لايف هاك الامريكية]8[)

السعادة بعيدًا عن الخوار والاهتزاز والضعف للإرادة والنفس وافتقاد الزكاوة من الممكن أن نستنتجها من عديد آيات القرآن الكريم، في سورة النمل كمثال، ومن الآية 15 في سورة الأحقاف وهي تأتي بدوام الشكرلعظيم النعم، والطاعة، وتمكن العمل الصالح، والذرية الصالحة والتوبة والاسلام لله سبحانه وتعالى.

ونلاحظ في الآية 15 في الأحقاف القول "أوزعني أن أشكر نعمتك"، والقول "وأن أعمل صالحا ترضاه"، و"أصلح لي في ذريتي".

والمسألة هنا لي هي في (أوزعني) ما أريد التركيز عليها، وهي بالآية بمعنى ألهِمني وبمعنى حَرّضني، أي حفّزني وادفعني وفي هذا قوة خارجية، وبعميق الايمان تصبح جزء من الذات وقوة داخلية دافع وحافز ذاتي[9].

لتتحول لمنبع الإلهام ومحرك إرادة الفعل، والإلهام الإلهي هنا بالهداية والأيمان.

"أظهرت دراسة أجريت عام 1975 ، أجراها "كالدروستاو"، ونشرت في مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، أن الدافع الجوهري والخارجي يمكن أن يتفاعلا مع بعضهما البعض، ولكن لا يتصرف بطريقة إضافية.

ومع ذلك، هناك العديد من الدراسات التي تظهر أن الدوافع الذاتية والخارجية يمكن أن تحدث معًا وتولد تأثيرات إيجابية على سلوك الإنسان".[10]

دعني الى كل ما سبق أقول أن جهادَ النفس مدخلٌ للشحذ واستعادة الهمّة، والهدف يعطي المعنى والقيمة والحلاوة، واكتشاف وازع ودافع وحافز الايمان أو تنميته مَبنَى الإرادة، وشحذ النفس يحقق النقلة أو الانعطافة من حالٍ الى حال بالذكر، وبالانجاز، وبالأصدقاء وحُسن التواصل.

والحب والقرب والمشاركة مسعى دائم يحقق الرضا والنوال والسعادة والجمال، ويقمع اليأس ويقي من الانهياروافتقاد الحلاوة.

ودعني أشير الى أن اكتشاف أوجهاد النفس وحوارها، أو التفكر أو الإحساس العميق بالارتباط بقضية، لاحظ قضية، أوهدف أو غاية بحد ذاته مدخلٌ رئيسٌ وجب التمسك به لتحسّس حلاوة القيمة أوالمعنى للأشياء بأزمانها الثلاثة.

لربما أكون قد فهمت نفسي!

ولربما مازلت أحاول وهو الأدق حيث سأظل أحاول الفهم، ومما قاله الكثيرون ممن أشرنا لهم أو لم نُشِر، قد يجد كل منّا فيهم المبنى والمعنى...وحلاوة الدنيا!

الحواشي

[1] يقول الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور في كتابه العالم تمثلًا وإرادة: "تتأرجحُ الحياةُ كرقّاص السّاعة بين الألم والضّجر"، ورغم تشاؤمه لاينكر شوبنهاور وجود السعادة. لكنه يعتقد أننا مخطئون بشأن ماهيتها. بنظره، السعادة له ليست أكثر من عدم وجود الألم والمعاناة. لحظة الراحة التي نشعر

بها أحيانا بين تحقيق رغبة والسعي وراء أخرى. يؤكد شوبنهاور الدور الأساسي للتذكر والتفكير بتوليد مشاعر السعادة. وكانت فلسفة الشاعر بيرم التونسي قريبة وتعكس واقعية وحياة القسوة والمرارة التى عاشها مطاردا ولاجئا بين بورسعيد والإسكندرية والقاهرة وفرنسا.

[2] مقال للكاتب عبد المجيد دقنيش في مدونات الجزيرة تحت عنوان: لذة الحياة في زمن الكورونا.

[3] مالك بن الريب المازني التميمي ، شاعر كان قاطعا للطريق حتى طلب منه أمير خراسان (حفيد الصحابي عثمان بن عفان) أن يتوب ويستصحبه، فأطاعه و في الطريق الى غزوه، و في اثناء الراحة و في القيلولة لسعته أفعى و جرى السم في جسمه فأحس بالموت فرثى نفسه بقصيدة شهيرة.

[4] يذكرالكاتب نجم الدين خلف الله في مقاله عن كتاب اليوم الأخير للأديب ميخائيل نعيمة في صحيفة العربي الجديد: تدخل عليه خادمتُه وتسأله عن سبب تغيُّر حاله، وفي خضمّ حوارهما يسألها: "أمَّ زيدان! أتعرفين ما هو الموت؟" فتردُّعليه: "الموت هو الموت يا ابني". وفي هذا الوضْع الوجودي، الواقع على حافة الوجود والعَدم، الموت والحياة، الفَناء والبقاء، يَروي نُعيمة سيرَة هذه الساعات الأربع والعشرين الأخيرة التي هي مَدار الكتاب: تمرُّ الأحداث على محكّ الموت، ليتّضِح الفرقُ بين الزائف والأصيل في حياة الناس. فهل المضمون العميق، في"اليوم الأخير"، مجرد مَوعظة مُقَنَّعَة، كُتبت بأسلوب قصصيٍ لتندُبَ الناس إلى التأمُّل؟

[5] الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (1687-1768م)مؤرخ وشاعر ومصنّف من أهل صنعاء. هو أحد أئمة اليمن المتأخرين، والذين يعدّون في المجتهدين القلائل المتحررين المتبعين للدليل من الكتاب والسنة.

[6] محمد زكي عبد السلام مبارك (1892-1952م) هو أديب وشاعر وصحفي وأكاديمي عربي مصري، وله من الكتب الجميلة العديد.
[7] الشاعر محمود غنيم (1901-1972م) من الشعراء مرهفي الحس الذين يتأثرون بكل ما حولهم من أشياء وكائنات، وأحداث صغيرةأو كبيرة، أو مؤثرات نفسية يرى الشاعر أنها تجربة حركت نفسه وهزت مشاعره، وفي دواوينه المختلفة نجد صدى يبرز الحروب وأهوالها، كما نجده يكتب الكثير من القصائد التي تتميز بالخفة والدعابة والفكاهة، ونجد فيها العَبَرات والرثاء، كما نجد فيهاالمديح والوصف...الخ.

[8] مجلة "لايف هاك"" الأمريكية، بقلم الباحثة الكندية في علم النفس، إيفلين مارينوف. وتضيف في مقالها الى ما سبق أن الانسان يحتاج الى التفوق في الممارسات والإنجازات مقارنة بالآخرين. وقال طبيب النفس النمساوي، "كونراد لورنتس"، ذات مرة: "الحياة نفسها هي عملية اكتساب المعرفة"، التي تعطيك "فخرًا" في هذه الحياة. ومن هذا الباب، يرى الكثيرون أن "تحسين الذات" عبر تجارب الحياة يرقى إلى مستوى الهدف والغرض منها.

[9] يعرّف "ريتشارد م.ريان وإدوارد ل. ديسي"؛ الدافع الجوهري بأنه "الميل المتأصل للإنسان إلى الخروج بحثًا عن الجِدة والتحديات لتوسيع قدرة الفرد وممارستها واستكشافها وتعلمها".

[10] الدافع الداخلي والخارجي: الاختلافات والأمثلة من رابط-https://ar.questionofwill.com/572-intrinsic-and-extrinsic-motivation-differences-and-examples

ضبطُ النفس الفنّ الصعب

في الكثير من المحادثات الشفوية أو الكتابية بين الناس وفي الإطار الاجتماعي أو داخل المؤسسة (المنظمة، الفصيل، النقابة، جماعة الأصدقاء، الأسرة...الخ) تكون الكلمات والمشاعر ميَسِرة ومسهّلة للتواصل، كالجداول الرقراقة وذلك في حالة كان الودّ والمحبة، أو التقارب وانفتاح الذهن وتقبل الآخرقائمًا، ما يمثل السِمة الخاصة بالشخصية المنفتحة.

وعلى العكس من ذلك قد تكون الاتصالات والعلاقات بين الناس صعبة ومتوترة الى درجة تعيق التواصل بل وتقطعه، كالبراكين الثائرة أو الزلازل النفسية العنيفة.

ومن أبرز عوامل قطع الاتصالات نجد الغضب والحنق والقلق والضغوط والتوترات التي قد يعاني منها الناس.

وللصبر والتعامل مع الغضب والضغوط دورٌ كبير في تحسين الاتصالات والعلاقات داخل أي مؤسسة أو جماعة، أو بين الشخص وأقرانه، وأيضًا مع ذاته.

بل وفي إطار تعريفنا عملية "الاتصالات" بعناصرها الستة: كمرسل أومشارك أول، ومستقبِل وقناة أو وسيط اتصال، ورسالة محددة، واستجابة أو إرجاع أثر، وتشويش خارجي أو داخلي في النفس، نعتبر أن مِن هذه التشويشات تلك المشاعر السلبية، وهي ما نطلق عليه التشويشات الداخلية.

من المهم التمرّن والتدرّب على إدارة الذات أو ضبط النفس، وتحقيق التوازن، وهو فنٌ قائم بذاته، ويقصد به العمل على التخلص من الغضب

أوما نسميه بالتراث الاسلامي كظم الغيظ "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ- آل عمران134"، أوتحقيق الصفح والعفو والمسامحة، مايؤدي بنا لتحقيق حالة الهدوء النفسي الميسرة حتمًا للتواصل الانساني من جهة، وللصفاء الروحي والنفسي .

في فكرنا الحضاري الإسلامي المستنير وعبر التفكر والتأمل في القرآن الكريم ونصوص الأديان نجد الكثير من الحث على تحقيق التوازن وضبط النفس وترك الغضب، ونجد سيل الشحنات الإيمانية تتسلل من الكتب الدينية الى ذات الفرد لتعمل على تشكيل مِظلّة حامية وإطارًا نفسيًا قادرًا على درء هجوم النفس السلبية.

ولنا في تعاليم السيد المسيح عليه السلام الكثير حيث نجد في الإنجيل برسالة بطرس الثانية كمثال: (فِي ٱلصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي ٱلتَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي ٱلْمَوَدَّةِ ٱلْأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً) .

ومن حياة المسيح عيسى أيضا ما هو معروف إذ إجتمع السيد المسيح بالجموع علي الجبل لكي يعلمهم دستور أخلاقي لهدوء وسلام النفس ولسعادتها أيضاً في الحياه فقال لهم : حينما يؤذيك أحدهم لا تقابل الشَر بمثله بل من لطمك علي خدك الأيمن (أي فعل الشَر بك) فحول له الأخر أيضاً (أي إظهر له الجانب الأخر وهو المحبه والتسامح)، ويفسر الرسول بولس قائلاً: حينما تفعل ذلك مع عدوك فإنك بذلك تجمَع جمر نار على رأسه ، وحينها سيُرَد لك عفوك وتسامحك.

في الدين الاسلامي الموسوم دومًا بالسمح فإننا نطلق على عالم الدين أو الشيخ قول (سماحة)، ونحيي الآخرين بالقول (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) في آلية تسامح ومحبة وسلام ورحمة عند كل لقاء، وليس وفق ما اشتهر عن المتطرفين الاسلامويين الذين جعلوا الدين فزّاعة مرعبة!

وشيطانًا مخيفًا بأقوالهم وأفعالهم فشوهوا الاسلام كما لم يسبق له مثيل، وفي ظل تركيز إعلامي غربي مقصود على التطرف الإسلاموي دون غيره المنتشر في كل أرجاء العالم ومن كل الاديان.

يقول د.شوقي علّام مفتي الديار المصرية: إن منهج الإسلام قائمٌ على الاعتدال والتوازن في كلِّ شيءٍ، وبالتالي فإنَّ اندِفاع النَّفس غضبًا أو إساءةً يمثِّل انحرافًا عن المنهج الإسلاميِّ القويم، الذي يأمر بالصَّبر وكظمِ الغيظ والتَّواضُع، ففي أكثر من آية في القرآن الكريم ورد التوجيه بهذه القِيَم، فقال الله تعالى في صفات المتقين: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [البقرة: 134]، وقال في قصَّة لقمان مع ابنه: "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" [لقمان: 17]، وقال جلَّ شأنه في صفات من دعاهم عباد الرحمن: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾" [الفرقان: 63].)

من وصايا النبي الأكرم الأساسية أن "لا تغضب" وكررها ثلاثًا.

ويقول الشاعر والمتصوف سعدي الشيرازي في تحقيق التوازن الصعب بين الغضب الشديد والتساهل او الطيبة الزائدة ما يحتاج لجهد إن: "الغضب الذي لا حدود له يسبب الرعب، والطيبة في غير مكانها أو أوانها تلغي الاحترام. لذا لا تكن قاسيا لدرجة تثير الاشمئزاز، ولا متساهلًا لدرجة تجعل الناس يتجرأون (أو يستغلونك)".

من استراتيجيات فن ضبط النفس وتجاوز الغضب وتحسين التواصل:

قرارك الذاتي في فهم الذات،

وفهم الآخر أولًا-ما يحتاج لتمرن دائم-

وتجد الصمت

وابتلاع الغضب،

وتغيير الوضعية الجسدية وقوفا اوجلوسًا،

وتغيير المكان،

وتجد الاختلاء بالنفس والتأمل والتفكر،

وتجد تقنية التنفس العميق

والعد الداخلي قبل الكلام (من 1-10 مثلًا)،

وتجد الدعاء،

كما تجد الاستماع للموسيقى،

وتجد اقتراحات العمل على إعادة تقييم الموقف

ووضع النفس مكان الآخر،

ولك أخذ جولة في الطبيعة

وحوارالكائنات

والاستماع لحفيف الاشجار،

ولك أن تكرر من الكلمات المهدئة الطيبة،

وإحسان الظن بالآخر،

كما التمارين الجسدية وما لها من أثر

مع الطعام الصحي والماء،

ويضيف المختصون تلميحات هامة أخرى مثل إلهاء النفس بشيء آخرلكن مفيد أو ممتع،

او باللجوء للضحك بعيدًا عن الموقف،

كما يشجعون على القراءة

والكتابة

والعمل

وغير ذلك مما يُسهم في تحقيق التوازن وضبط النفس.

داخل التنظيم السياسي أو المجتمعي أو الإداري عامة تعدّ العلاقات الانسانية الثنائية أوالجماعية شيئا أساسيا.

فما دام هناك كتلة بشرية تتفاعل فلدينا تواصل وعلاقات واتصالات حتمية فإن لم نستطع فهمها، وإدارتها وتحسينها فنحن نسقط حين نفشل بعملية تنظيم ذواتنا، وتنظيم تواصلنا مع مَن هم الأقران أوضمن مسؤوليتنا، أو مع من هم مسؤولين عنّا.

يمكننا القول أن الفِرَق الناجحة (أواللجان أو المجموعات، أو الأطر...)

هي تلك القادرة على تحقيق الأهداف

والتفكير

والتخطيط والتنفيذ

والتعاون بكفاءة،

وقادرة بالضرورة على بناء اتصالات وعلاقات فعالة فيما بينها، من جهة.

وإدارة حياتها الداخلية

بعيدًا عن الغضب والانفعالات السلبية والتوترات المشحونة دومًا.

"ولقد نعلمُ أنك يضيق صدرك"

"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ ٱلسَّاجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ"-(الحجر 97-99)

كلنا تمرّ به الأيام حبلى، فيخالط فرحها وإقبالها كلّ من القلق أو الحزن أوالقلق أو الغضب أو الأفكار السلبية، والألم والفجيعة، أو الكآبة...الخ، لظرف او ظروف مختلفة، والبعض ينسحق تحت وطأة أحزانه وفشله وانحداره، أما الآخر فيعمل على التخلص منه بفهمه، وفهم ذاته عقليا ونفسيًا وروحياً، واللجوء لعديد التقنيات القادرة على التخلص من ضيق الصدر هذا ما يحقق الطمأنينة والهدوء (النفس المطمئنة)، وما يحقق التوازن ما هو حقيقة السعي للمرور في الدار المؤقتة وصولًا لدار السعادة الكبرى.

"وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (هود108)"

وفي السورة الكريمة عن ضيق صدر أكرم الناس التي نفتتح بها هذه السطور تسلية للرسول عليه السلام ولكل من يعاني من المضايقات او الأحزان في تقنية ربانية عميقة ومجربة.

كان المشركون يستهزئون بالرسول وبالدعوة، ويسخرون من سور القرآن الكريم مثل: سورة البقرة سورة النحل سورة الفيل سورة العنكبوت (حسب تفسير الإمام البغوي).

ويقول الإمام ابن عاشور: وليس المخاطَب (أي الرسول عليه السلام) ممن يداخله الشكّ في خبر الله تعالى، ولكن التحقيق كناية عن الاهتمام بالمخبر وأنه بمحل العناية من الله. وكان الارشاد الالهي في رباعية جميلة:

بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة.

وفي التفسير الكبير شرح جميل للآيات إذ يقول شيخ الاسلام فخر الدين الرازي: "قال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية ، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خفّ على القلب فقدانها ووجدانها، فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم . وقالت المعتزلة : من اعتقد تنزيه الله تعالى عن القبائح سهُل عليه تحمل المشاق ، فإنه يعلم أنه عدل منزّه عن إنزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة ، فحينئذ يطيب قلبه ، وقال أهل السنة: إذا نزل بالعبد بعض المكارِه فزع إلى الطاعات كأنه يقول: تجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أوألقيتني في المكروهات، وقوله: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يريد الموت وسمي الموت باليقين ; لأنه أمر متيقن ".

وفي جمالية التصوير القرآني العظيم للضيق النفسي والحزن الشديد (ضيق الصدر) تصوير حقيقي مادي، إذ ينقبض الصدر فيزيائيا، حيث أن ضيق الصدركناية عن الحزن والألم كما يشرح الشيخ الشعراوي: أن يقل الهواء الداخل عبر عملية التنفس إلى الرئتين؛ فمن هذا الهواء تستخلص الرئتان الأوكسجين؛ وتطرد ثاني أوكسيد الكربون؛ ويعمل الأكسجين على أن يؤكسد الغذاء لينتج الطاقة؛ فإن ضاق الصدر صارت الطاقة قليلة.

ويضيف الشعراوي: والمثل يتضح لمن يصعدون السلم العالي لأي منزل أوأي مكان؛ ويجدون أنفسهم ينهجون؛ والسبب في هذا النهج (النهج هنا أن

يتنفس بصعوبة شديدة) هو أن الرئة تريد أن تسرع بالتقاط كمية الهواء أكبر من تلك التي تصل إليها ، فيعمل القلب بشدة أكثر كي يتيح للرئة أن تسحب كمية أكبر من الهواء.

ويسترسل الإمام بقوله: أما من يكون صدره واسعًا فهو يسحب ما شاء من الهواء الذي يتيح للرئة أن تأخذ الكمية التي تحتاجها من الهواء ، فلا ينهج صاحب الصدر الواسع.

فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يكذّبه أحد ، أو يستهزيء به أحد كان يضيق صدره فتضيق كمّية الهواء اللازمة للحركة؛ ولذلك يطمئنه الحق سبحانه أن مدده له لا ينتهي.

وأنت تلحظ عملية ضيق الصدر في نفسك حين يضايقك أحد فتثور عليه؛ فيقول لك : لماذا يضيق صدرك؟ وسّع صدرك قليلا.

والحق سبحانه يقول في موقع آخر:"فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام" (الأنعام: 125) .أي : يوسع صدره، وتزداد قدرته على فهم المعاني التي جاء بها الدين الحنيف. ويقول أيضا: "ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السمآء" (الأنعام : 125).

وهنا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يشرح عملية الصعود وكأن فيها مجاهدة ومكابدة، وهذا يخالف المسألة المعروفة بأنك إذا صعدت إلى أعلى وجدت الهواء اكثر نقاء. وقد ثبت أن الإنسان كلما صعد إلى أعلى في الفضاء فلن يجد هواءً.

ويدل الحق سبحانه رسوله الكريم صلى الله عليه وسم على علاج لمسألة ضيق الصدر حين يحزنه أويؤلمه مكذب ، أو مستهزيء؛ فيقول سبحانه: "فسبح بحمد ربك . . ".

ونقول إن التمكن من الحصول على السعادة في الدنيا بأي من الاشكال المقبولة قد يأخذ المعاني المادية عند الكثيرين، ولكنها في الأصل النفسي والروحي مكمن حقيقتها حيث الامكانية للتخلص من فعل الضيق والاحزان.

وإن كان لنا من إشارات قرآنية نفسية الكثير، فلنا إلى ما سبق في التفكر والتأمل وحسن الظن، والنظر من زوايا أخرى الكثير.

وكنت قد كتبت في المسطور السابق التالي لأختم به مؤكدًا أنه: من استراتيجيات فن ضبط النفس وتجاوز الغضب وتحسين التواصل: قرارك الذاتي في فهم الذات، وفهم الآخر أولًا-ما يحتاج لتمرن دائم- وتجد الصمت وابتلاع الغضب، وتغيير الوضعية الجسدية وقوفا اوجلوسًا، وتغيير المكان، وتجد الاختلاء بالنفس والتأمل والتفكر، وتجد تقنية التنفس العميق والعد الداخلي قبل الكلام (من 1-10 مثلًا)، وتجد الدعاء، كما تجد الاستماع للموسيقى، وتجد اقتراحات العمل على إعادة تقييم الموقف ووضع النفس مكان الآخر، ولك أخذ جولة في الطبيعة وحوارالكائنات والاستماع لحفيف الاشجار، ولك أن تكرر من الكلمات المهدئة الطيبة، وإحسان الظن بالآخر، كما التمارين الجسدية وما لها من أثر مع الطعام الصحي والماء، ويضيف المختصون تلميحات هامة أخرى مثل إلهاء النفس بشيء آخرلكن مفيد أو ممتع، او باللجوء للضحك بعيدًا عن الموقف، كما يشجعون على القراءة والكتابة والعمل وغير ذلك مما يسهم في تحقيق التوازن وضبط النفس.

في مسار السيطرة على العقل.

تتحكم الأفكار السلبية في الأشخاص وتصبح عملية التخلص منها قضية مجهدة ومُتعبة حتى يتم الانتقال الآمن لحالة الهدوء العقلي والنفسي، أوالانتقال من حالة الى حالة، وهذا أمرٌ صعب وشاق جدًّا.

ومن هنا فإن التحكم أوالسيطرة على العقل والسيطرة على طريقة التفكير السلبية المندفعة داخلك كالسيل المنهمرأوكالإعصار للعقل التَعِب هي مهمة ذات ضرورة للانسان عامة، وللكادر والعضو في أي مؤسسة أو جماعة ليستطيع من خلالها أن يفهم ذاته أولًا، ويصلحها أو يحقق (توازنها) وهو المطلوب بالنفس والحياة.

"وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ- الرحمان7".

وليستطيع أن يركز في عمله، وأهدافه، وفيما يخطط لفعله، وفي تحسين وتطوير ذاته وعلاقاته مع الآخرين، وتحقيق الانجاز.

قد نجد إشارات هامة جدًا حول السيطرة الواعية على العقل لدى كثير المفكرين العرب والمسلمين وكذلك الأجانب فالعلم ذو أفق رحب، إذ عليك الاهتمام بنفسك أولًا...

فكيف تستطيع الاهتمام بالآخرين أصلًا، وأنت ضعيف تجاه ذاتك !

ويُساق لنا دومًا تقنية التصور الذهني أوالتخيل الإيجابي للصورالمشرقة، فكيف لا تنشرح مع تخيل ضوء القمر أوصوت أمواج البحر أو وجه أمك، أوملاعب الصبا أو...الخ مما يُبهج روحك وقلبك وأنت به أخبر.

من المهم ممارسة الحوار الذاتي ومحادثة النفس التي يتقنها المؤمنون مع ذواتهم، وفي مناجاة الرب فأنظر مثلا للحديث الشريف الفائق الجمال هنا في الرفق بالنفس والمحادثة الحوارية العظيمة مع الخالق عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم ....".

وهنا عليك ألا تنسى أشياءك الجميلة وحاول كما يقول "روبرت كاوثور" أن تتذكرها على الأقل 3 مرات يوميًا، وعندما تشعر سلبًا تجاه موقف أو حدث أو قول أو خطاب أو اتهام أحدهم ابحث عن الدليل بدلاً من تقديم الافتراضات حول ذلك وواجه، وتخلى عن مصطلحات الجمود العقلاني والإقصائية والقوالب الجامدة مثل "دائمًا" أنت كذلك، "أبدًا" لا يمكنك أن تفعل كذا...الخ، وتحرر من الأفكار السلبية الإعصارية ويمكنك ذلك بأن تتعلم أن (تنفصل عنها وتشاهدها، وتكون شاهدًا عليها ولا تتبعها!)، أو كما يقولون دع أفكارك السلبية تتدفق بعيدًا عنك مثل أوراق الشجر الساقطة في الماء .

يمكن بل قد تجد ضرورة في أن تتطوع لعمل مجتمعي أو خيري مفيد، ما فيه نفع للناس والجماهير (أنظر الحديث الشريف الجميل أيضا والقائل: "أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطرُدُ عنه جوعًا ، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ ؛ أَحَبُّ إليَّ من أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا ، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه ؛ ملأَ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا ، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له ؛ ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ").

وهنا ترى أن عليك تعلم أن تقدم وتعطي للآخرين-ماديًا ونفسيًا واجتماعيًا-وليس فقط أن تأخذ، والى ذلك أن تتعلم عدم اجترار الأفكار تلك التي تمثل

السيل المنهمر بتغيير بيئتك المادية-كما سبق وأشرنا- بتغيير المكان مثلًا، وتغيير النفسية ومضارب العقل بقراءة كتاب أوالاستماع لموسيقى، أو الحوار مع الطبيعة، أوقراءة أوالاستماع للقرآن الكريم.

من الممكن في ذات الأمر أن نرى عددًا من التلميحات المفيدة للسيطرة على العقل والتفكير السلبي من كثير من المفكرين ومثل أن تقوم بشكل متكرر بفحص قناعاتك الأساسية فهل تعتقد أنك أكبر من أن تفعل شيئًا ما أولا تستطيعه، أعد التفكير؟

ومثل ضرورة أن: نتعلم من أخطائنا، والسماح لعقولنا بالتفكير بشكل مختلف أو من زاوية جديدة أوبمنطق النظر داخل الغابة أومن خارج الغابة حيث تختلف الصورة .

أنت حين تفكر تدهمك الأفكار السلبية وهنا عليك تذكرأن لديك الكثير مما يجب الامتنان لوجوده والاحتفال به. وهذا لايعني أنه يمكنك الاعتماد على أمجادك الماضية؟ ولكن ضرورة التذكير لنفسك بأن الأمور ليست بالسوء الذي قد يعتقده عقلك، فلديك الجميل أيضًا. (أنظر تقنية كاوثور أعلاه)

يقول الخبراء أيضًا أنه إذا استخدمنا أدمغتنا للقلق بشأن سبب عدم حصولنا على مانرغب ولماذا لم يتصل فلان، ولماذا لا تسير حياتنا كما خططنا لها بالبداية...الخ، فنحن نهدر بالحقيقة موارد قيمة يمكن استخدامها بشكل أكثر إنتاجية وهي مواردنا العقلية الثمينة.

لابد أن تمارس وتتدرّب على التأمل والتفكّر، وحالات الخشوع بانتظام، والى ذلك أن تكون قادرًا على إدراك ما يفكر فيه عقلك، والتعرف على الوقت الذي تتحسّن فيه عواطفك (الحزينة أوالغاضبة...) وتعيد نفسك إلى الواقع، بل وأن نكون -أنت وأنا والجميع- قادرين-بالتجربة والاصرار- على معرفة

مسار عقولنا، والتعرف على ما نشعر به ولماذا، والسماح لأنفسنا بالقدرة على الدخول في هذه المشاعر بطريقة صحيّة .

إن القدرة على ممارسة ضبط النفس هي قدرة الشخص على التحكم بعقله. ولتعلم أن الإشباع الفوري المباشر(المتعة من فعل شيء) قد يكون مغريًا، إلا أن الحفاظ على أهدافنا وأخذ غايتنا في الاعتبار سيجعل من السهل عليك التحلي بالصبر، وقول لا.

يقول المختصون أنه من المهم اختيار الخروج من منطقة الراحة الخاصة بنا بشكل متكررومتواصل، وليس مرة واحدة فقط إذا كنت تريد أن تكون سيد عقلك وتجعل السيطرة على عقلك عادة.

توضح "أوليفيا فوكس كابان" في كتابها أسطورة الجاذبية أن الرفق بالنفس (التعاطف مع الذات) هو "الدفء الذي نحمله لأنفسنا خاصة عندما نمر بتجربة صعبة ."

الأفكار الدافقة قوة وقيمة وطاقة يجب الحفاظ عليها، وليس هدرها سلبيًا. وذلك لاستخدامها في المسار المنتج، وعليه فإن السيطرة على العقل، وتحقيق توازن الذات، هو رفع للقيمة وزيادة ثمنها فلا تضيع هباء بل تصبح كنزًا عندما نستخدمه بحقه لإظهار الكثير الجميل في أنفسنا وحياتنا.

الحواشي:

* أنظر كتاب "قوة العقل الباطن" للدكتور جوزيف ميرفي، وأنظر في كيف تؤثر على الآخرين لديل كارينجي، وأيضا للشهير ستيفن كوفي، وكتب الراحل الكبير إبراهيم الفقي الكثيرة والهامة بالموضوع، والكثير في المجال.

* الميزان في الآية حسب القرطبي هو العدل والقسط وهو الحكم أيضًا، وذكر البعض أن الميزان هو القرآن الكريم، وقيل أيضًا هو العقل .

أنا آسف!

أن تقول آسف فهي حالة طبيعية عند عديد الناس، والقول هنا عندما يكون حقيقيًا ونابعًا من القلب

الاعتذار شيمة الكبار والمتسامحون وأصحاب النفوس العالية.

وكما نقول في تراثنا أن الاعتذار فضيلة، وما نتعلمه من رسولنا الكريم أن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

والاعتذار عن الفعل وعدم اقترافه ثانية بداية التوبة الحقيقية وما يخالطها من ثقافة العفو والمسامحة والصفح والانفتاح والتقبل للآخر المختلف.

ولأن الاعتذار كما الحال مع الاعتراف بالخطأ أو الصفح فإنه ممارسة انسانية يجب ان تكون طبيعية في ظل فهم أنه يتعرض لذات التصرف أوالفعل الذي يقوم به الشخص وليس لشخصه أوذاته، ما يجعل الفصل بين الأفعال والتصرفات من جهة وبين ذات الشخص من جهة ضرورية للفهم فلا يشعر الشخص بالإهانة حين يعتذر.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: "لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر في أذني الأخرى لقبلت عذره".

وقال الإمام الشافعي (وتنسب أيضا للبحتري) :

إِقبَل مَعاذيرَ مَن يَأتيكَ مُعتَذِراً*إِن بَرَّ عِندَكَ فيما قالَ أَوفَجَرا

لَقَد أَطاعَكَ مَن يُرضيكَ ظاهِرُهُ*وَقَد أَجَلَّكَ مَن يَعصيكَ مُستَتِرا

وقال الشاعر: إِذَا اعْتَذَرَ الْجَانِي ومَحَا الْعُذْرُ ذَنْبَهُ* كَانَ الَّذِي لاَ يَقْبلُ الْعُذْرَ جَانِيًا

لطالما حصل التداخل في الفهم عند كثير من الناس بين الفعل/السلوك/التصرف المتحرك أبدًا متأرجحًا بين الخطأ والصواب وبين الشخصية للانسان التي تعني احترامه لذاته.

يجب أن يفهم الشخص الصعب أن احترامه لذاته واعتزازه بها لا يتأثر بالاعتذار وقول آسف، فالاعتذار لا يأتي مهددًا له أومستنزفا لكرامته أواحترامه لنفسه، بل على العكس من ذلك هو من الدلالات النقيضة أي دلالة الاحترام للذات والقدرة على التقبل وتقويم الخطأ.

في مجتمعنا العربي ومنه الفلسطيني لربما تكون ثقافة الاعتذار، ثم الصفح والعفو، صعبة واحيانًا مستحيلة رغم التنبيه النبوي ورغم الآيات القرآنية الكريمة الحاثة على ذلك، لسبب التراتبية البنيوية (الأب أو الأم المهيمنة، وفهم السلطة بالمنطق الاستبدادي الإخضاعي بأي من أشكالها في الدولة أو التنظيم، أو المؤسسة....)، وربما للنظرات الطبقية الدونية للبعض الآخر ضمن المجتمعات أوالنظرات الفوقية المجتمعية/النفسية بأنني (أو أننا كشعب أو قبيلة أوفصيل سياسي، أوعائلة أو مذهب أو...) أفضل من الآخرين! ويمكن أن نضيف لهذه العوامل غياب ثقافة الحوار والنقد.

كان النبي صلى الله عليه وسلم منشغلاً في دعوة أكابر قريش فجاء أحد المسلمين (وهو ابن أم مكتوم) وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله فعبس النبي في وجهه (وهو أعمى لن يرى عبوس النبي لكن الله رآه وعاتبه في ذلك) ولم ينطق النبي بكلمة واحدة، لكن الله أنزل قوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى.. "، وهنا يأتي دور حبيبنا

الذي اعترف بعبوسه وصار كلما رأى ابن أم مكتوم قال: مرحبًا بمن عاتبني ربّي فيه.

هل يحبُ أحد منا أن يتذكّر موقفًا اعتذر فيه ؟

لكنها عظَمَة الرسول.

صادفتُ في حياتي الكثيرين الذين اضطروا للاعتذار، وكأنهم ذاهبون الى معركة حربيّة انهزموا فيها!

فهم باعتذارهم وكأنهم يسلّمون كامل أسلحتهم للعدو ويعلنون الخضوع الكامل!

أوبلغة اخرى كأنهم يوقعون صكّ استسلامهم كما فعلت اليابان أمام الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الأوربية (العالمية) الثانية تمامًا .

ورأيت من يعتذرون وهم يقصدون ذلك حقًا، فيتذوقون فرحة الآخر المحزون، ويشعرون بالفرحة المقابلة، وهؤلاء على قلتهم في حياتي إلا أنهم ربطوا على قلبي علامات محبة وشوق لهم فلم يكونوا إلا نموذجًا حقيقيًا للمعلم أوالقائد الذي لا تبهت صورته مطلقًا حين يعتذر ويتأسف.

يقول عالم النفس "د.غاي ونتش" أن هناك 5 أسباب رئيسة "للرافضين للاعتذار" أولها: عدم قدرتهم على الفصل بين أفعالهم وبين شخصيتهم، وثانيا: آسف، تفتح لهم الباب للشعور بالعار كما يفهمون، وثالثا:يرون أن الاعتذار وقول آسف يفتح الباب على مصراعيه أمام المزيد من الاتهامات ومزيد من الصراع الداخلي فيهم، والضعف واللوم. ورابعًا: يعتقدون أنهم حين يقولون آسف بحقها سيتحملون كامل المسؤولية ويريحون الطرف الأخر من أي ذنب.أما خامسًا فلقد رأي أن الرافضين للاعتذار يحاولون التحكم

بأحاسيسهم، والسيطرة عليها فهم عادة ما يكونوا مرتاحين مع غضبهم وانفعالاتهم، ووضع المسافة العاطفية بينهم والآخرين.

في فن الاعتذار والتسامح الذي يتوجب أن نفهمه ونتعلمه ونطبقه فينا وبيننا، لنا في المثال القيادي ياسر عرفات الذي لطالما اعترف بالاخطاء، وقال اعتبروني أخطأت في أكثر من مرة، وعلنًا بلا خشية من اهتزاز صورته، وكما كان من خالد مشعل حين فعلها وهو يعلن وثيقة حماس عام 2017 وإن بصيغة مخفّفة.

تقول الكاتبة "موريال ميراك فايسباخ" في كتابها "مهووسون بالسلطة، تحليل نفسي لزعماء استهدفتهم ثورات 2011"، إن جوهر النرجسية هو حب الذات الذي يستتبع عددا من الصفات.

فالنرجسي يفرط عادة في تقدير نفسه وقدراته، ويطلب الإعجاب من الآخرين الذين يطمئنون إلى عظمته. وتشير في تحليلها لشخصية الحكام العرب، إلى أنهم يحيطون أنفسهم دائما بالرجال الذين يوافقونهم في الرأي، والمتزلفين والمتملقين.

وتضيف: أنهم يحتاجون إلى الشعور بأنهم محبوبون ويُخشى منهم، ولا يحتملون أي انتقاد وهم عاجزون تماما عن النظر في إمكان أن ينقلب شعبهم عليهم. ويتوجب الأمر تجنب الأشخاص الذين يظهرون أي حكم مستقل على الأمور، ومن يجرؤ على انتقاد الزعيم النرجسي، أو يُشكك في سلطته، يصبح عرضة للضغط الاجتماعي الهائل.

وهذا يفسر سبب إصرار الزعماء الأنويين –من الأنا العليا (النرجسيين) على السيطرة الكاملة على الرأي العام من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية.

ولنترك الزعماء جانبًا، وإن كان في كل منّا كشرقيين زعيم عامةً!

ونقول على العموم أن الاعتذار كما يقول علماء النفس يجلب الشفاء الروحي، ويوطد العلاقات الانسانية (بين الشركاء أوالزملاء في البيت أو العمل أو الفصيل السياسي...الخ) ويحقق المغفرة الربانية ويجلب حالة التعافي والصحة النفسية أيضًا.

الحواشي:

1 د.جاي وينش هو طبيب نفساني، ومتحدث رئيسي ومؤلف. من كتبه- كتاب: تحسين علاقاتك وتعزيز احترام الذات الذي تمت ترجمته إلى سبع وعشرين لغة.

2 مهووسون بالسلطة: تحليل نفسي لزعماء إستهدفتهم ثورات 2011، تأليف ـ موريال ميراك فايسباخ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى 2012

أنصِت ولا تشغل قلبك بحديث نفس

دعوني هنا بهذا الجزء من الكتاب أنقل جزءًا يسيرًا عن اسهامات الأديب الكبير ابن المقفع في آداب الاتصالات وفن الإصغاء والحديث، وحيث يعتبر العرب ضمن تراثهم الحضاري الزاخر والمتنوع بحق أصحاب حضارة فنون الحديث والمجالسة (الاتصالات) والاصغاء والحلم، ولهم في كل ذلك مئات الكتب والاسهامات الهامة جدًا.

لنتامل كنموذج قول الشاعر أبوتمام :

من لي بانسان إذا أغضبته* وجهلتُ كان الحلمُ ردّ جوابه

وإذا صبوت الى المدام شربتُ من* أخلاقه وسكرتُ من آدابهِ

وتراهُ يصغي للحديثِ بطرفِهِ* وبقلبِه ولعلّه أدرى به

كما أشير ناقلًا أيضًا لأحد الكتاب الأجانب الجُدد المهمّين والمختصين بالتدريب وفن الحديث، وذلك استكمالًا ودعمًا لما كنت قد كتبته أو أشرت له في كتابي الكبير المعنون فن الحديث: في الخطاب المؤثر والأسلوب الجذاب الصادر عن دار الامين عام 2020.

فن الإصغاء حين التواصل والاستماع والحديث مع المسؤول ما يسميها ابن المقفع (مجالسة) (المسؤول) نلخصها بالتالي

1- تركيز الانتباه.

2- الإصغاء فلا تنظر لغيره، ولا تشغل أطرافك بعمل

3- ولا تشغل قلبك بحديث نفس

4- وحين الجلوس مع عالِم أظهر الشعور بالحاجة للمعرفة بالسؤال وانتظار الجواب.

5- لا تقاطع

6- ولا تلاحق

7- ولا تعقب بالقبول أو الرفض

8- لا تشترك معه بالحديث في وقت واحد

9- لا تاخذ الكلام من فمه وتكمله (تسابقه بالحديث واعتبَرذلك بخلا)

10- ثم يذكر "- إمهال المتكلم حتى ينقضى حديثه ،- وقلة التلفت إلى الجواب،- والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم ،- والوعى لما يقول."

ومما يشير له ابن المقفع أيضاً في هذه الفنون الاتصالية (يسميها المجالسة) أن :

1. الأساس فى صون اللسان : أن يظل الإنسان صامتًا ، لا يتكلم إلا إذا دعت إلى الكلام ضرورة، ويقول بضرورة استخدام اللسان بصورة معتدلة وناجحة .
2. مضيفًا ضرورة: مراعاة الموقف حيث أن مراعاة الموقف تتضمن اعتبار عدة عناصر مهمة مثل الوقت ، والمكان ،

والجو "ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنمًا، ما لم يغلبك اضطرار"

3. لا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشىء مما يأتى به جليسك. ولكن إذا خشى الإنسان من أن يرسخ هذا القول الكاذب فى أذهان بعض الحاضرين، أو ينتشر من الناس عن طريقهم، فما عليه إلا أن يبين له ذلك.
4. لا تسرق أقوال الآخرين: "إن سمعت من صاحبك كلامًا ما أو رأيت منه رأيًا يعجبك ، فلا تنتحله (تسرقه) تزينًا به عند الناس، واكتف من التنزين بأن تجتنى الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه، واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك ، وأن فيه مع ذلك عارًا وسخفًا."
5. لا تذم الأسماء: "ولا تستصغرن من هذا شيئًا ، فكل ذلك يجرح فى القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد"
6. لا ينبغى على المستشير أن يعود عليه باللوم والتقريع إن لم تصح مشورته. وفى مقابل ذلك، لا يصح للمستشار – إذا ظهر الصواب فى جانبه – أن يكثر من المن على صاحبه؟
7. "-ولا تخلطن بالجد هزلاً ، ولا بالهزل جدًا"، حتى بين الأصدقاء.

بعد دُررابن المقفع، اليكم "روي أوسينج" وهو رائد في الأعمال التجارية الكندية ومدوّن معترف به ومتحدث وقائد ندوة ومستشار أعمال ومعلم ومدرّب شخصي، حيث تمتد مسيرة روي أوسينج المهنية لأكثر من ثلاثة عقود من الإنجاز الفردي يكتب مقالة تحت عنوان: لماذا حديثك (خطابك) سيء حقًا ويمنعني من الاستماع؟

وعليه يقول: لماذا لا أستمع؟

1- رسالتك ليست ذات صلة بي (لا علاقة لها بي)

أنا لا أولي اهتمامًا بموضوعك بشكل خاص. حيث يستمع الناس عندما يثير موضوعك مشاعرهم؛ عندما يشعرون بكلماتك. قد تحب موضوعك لأنك تعتقد أنه مثير للاهتمام من الناحية الفكرية، ولكن إذا لم يمسني بطريقة عاطفية ، فأنا أتوقف عن الاستماع.

لم تقم بأداء واجبك (فروضك المنزلية) بما أريد أن أسمعه. اختيارك للموضوع إما أن يجذبني أو يكسر استجابتي

2-أنت مثل كل المتحدثين الآخرين الذين سبقوك

لا يوجد شيء مميّز في "أداءك" (وهو أداء). لا يوجد شيء محبب/مؤثر/جذاب. إذا أغمضت عيني يمكن أن تكون أي شخص؛ أنت منسي لأنك لا تختلف عن "قطيع المتحدثين."

أنت تنظّر وتتحدث وتؤدي مثل أي متحدث آخر قبلك. أنت لاطعم لك، وممل.

3-أنت "صلب" (متخشب) على المنصة

إن وجودك على المسرح (المنصة) رسمي للغاية ولا تظهر أي قدرة تحررية غير نمطية. أنت رتيب وبارد في تقديمك. أنت مقيد بالسلاسل إلى المنصة أو أي أداة أخرى تحميك من الناس .

يبدو أنك لا تملك أي طاقة أو شغف بموضوعك. يبدو أنك تنتظر بفارغ الصبر نهاية محنتك. أشعر بعدم الارتياح تجاهك وأتساءل لماذا تفعل ما يبدو أنك لا تستمتع به.

4- رسالتك لا "تتدفق من عروقك"

ليس لدى رسالتك تعبير طبيعي يستحق مني الثقة. لا أشعر بالراحة بأنك تعرف حقًا مادتك وانما فقط تعطيها هكذا (أسقِطت عليك) . يبدو أنك تشارك رسالة شخص آخر بتعارض مع قناعاتك الشخصية.

5-من الواضح أنك لم تتعرض للنقد مطلقًا بسبب التحدث بصوت عالٍ جدًا

يتعرض المتحدثون أحيانًا للانتقاد بسبب الصراخ (عبر المكبرات). بالطبع يسيء البعض فهم شغفهم واندفاعهم تجاه موادهم/مواضيعهم على أنه عجرفة واعجاب بالنفس ؛ ولكن يمكن لذلك أن يُغفَر .

لكن قناع الخجل الخاص بك للأسف يذيب وجودك على المسرح، ويمنعني من الانخراط معك حقًا.

إن إحداث تأثير إيجابي عليّ هو كل شيء يتأسس عبر إنشاء رابطة عاطفية بينك وبينك في الوقت القصير الذي نقضيه معًا، ويختم اوسينج بالقول: التحدي الذي تواجهه كمتحدث هو تقديم أداء فائق، وتركي أرغب في المزيد.

الحواشي:

1-أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع مفكّر وأديب فارسي عاش ضمن الحضارة العربية الاسلامية، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية. درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المربد الثقافي-الأدبي . وله كتاب كليلة ودمنة الشهير منقولًا عن لغة أخرى. وله في الكتب المنقولة كتابي: (الأدب الكبير) فيه كلام عن السلطان وعلاقته بالرعية وعلاقة الرعية به و(الأدب الصغير) حول تهذيب النفس وترويضها على الأعمال الصالحة. ويقول عنه أ.د.حامد ظاهر: يعتبر ابن المقفع من أكبر كُتّاب اللغة العربية ، وأحد القلائل الذين وصلوا بهذا اللغة إلى درجة عالية من البيان الراقى، والتعبير الأدبى البليغ، وهو كاتب حكيم ، تغلب على

كتاباته الحكمة ، وتشيع فيها النصائح المتعلقة بآداب السلوك ، كما تتميز لغته بقدر كبير جدًا من التركيز.

2-عند ابن المقفع العنوان هو: مجالسة الوالي، ما يصح اليوم القول أنه المسؤول أوالمدير أو القائد عامة، والملخص منا هنا بتصرف عن بحث ثري للكاتب للدكتور حامد طاهرالمعنون آداب المجالسة عند ابن المقفع، وهي الدراسة المأخوذة عن كتابه الأدب الكبير.

3 عن مقال الكاتب الكندي "روي أوسينج" مترجما من الموقع

https://www.bedifferentorbedead.com ، ومن على الرابط

https://www.bedifferentorbedead.com/blog/item/950#.YU9SnmbWdQI

وهذا العنوان: لماذا حديثك (خطابك) سيء حقًا، ويمنعني من الاستماع؟ للعام 2017 للكاتب، وكان عام 2015 نفس الموضوع بعنوان 5 reasons why I don't listen when you speak 5 أسباب تمنعني من الاصغاء لك عندما تتكلم.

القضاء على تشتت التطبيقات والهاتف الذكي

لغرض فهم طرق القضاء على التشتت الذهني المتسبب به استخدام الأجهزة الرقمية من هواتف نقالة "خلويات" وأجهزة لوحية، وحواسيب محمولة وغيرها كان لنا جولة هامة في كتاب التشتت الرقمي، ومما استفدناه ولخّصناه، وننقله لكم الآتي الذي لا يُغني عن مطالعة الكتاب المتوفر على الشابكة:

أن مخ الإنسان يبدأ في التغير بعد 5 ساعات فقط من استخدامه الشابكة (انترنت) كما يقول العالم "غاري سمول"، وفي دراسة بالصين على شباب بعمر 19 عامًا يقضون المتوسط 10 ساعات أمام الشاشات اكتشفوا أن الاستخدام المفرط للشابكة (انترنت) يصاحبه تقلص أجزاء معينة من المخ تتحكم بالانتباه والتعاملات العاطفية وهو ما يسمونه هنا الانتباه المنقسم.

أما البرفسور"كاري كوبر" أستاذ علم النفس فيقول: نحن حاليًا خدم التقانة "تكنولوجيا"، ويجب أن نتولى زمام الأمور ونصبح السادة.

وفي إطار مقاطعة تدفق الأفكار لديك يقول الكتاب أنه في إطار سماحنا بمقاطعة تدفق أفكارنا،عبر استخدام وسائل التواصل، فإننا لا نعطي لأفكارنا الفرصة لكي تتشكّل.

وحين يتم استعراض أسباب استخدامنا وسائل التواصل الاجتماعي يتم طرح 11 نقطة ما ملخصها: الضجر والغرور وللحصول على القبول الاجتماعي، والتعلم، والمتعة، والخوف، وللشعور بالأهمية، وللمعرفة وكسب المعلومات، والإدمان والتشتت .

ويستطرد الكتاب بالقول أن وسائل التواصل الاجتماعي هذه تجعلنا "عالقين" بما يسمى الخوف من التفويت. أي أن يفوتنا شيء أو خبر... الخ!

وفي التقييم للتشتت الرقمي عبر الهاتف الذكي يطرح 4 أسئلة يتوجب منك الإجابة عليها:

1-كم عدد المرات التي تغلق فيها هاتفك نهائيا؟

2-كم عدد المرات التي "يناديك" فيها هاتفك وتطبيقاته ليخبرك بآخر التحديثات؟

3-هل تتوجّه إليه مباشرة عندما يفعل ذلك؟

4-كم عدد المرات التي تجد فيها نفسك مُنكبًا عليه تكتب؟ وبالنتيجة فأنت ما بين المتشتت الخطير أو على حافة الخطر أو مركّز أغلب الوقت لتعرف هل وصلت مرحلة الأدمان أم لا.

وفي الحديث عن الانتباه والتركيز وأهميته للإنسان يطرح الكتاب أنه باتقان ذلك

1-تبدأ في إنجاز المهام

2-تراودك الأفكار اللامعة لأنك لا تسمح بالتشتت

3-تبدع بحرية

4-تكون هادئا وسعيدًا وغير متوتر، وتدخل حالة من التأمل فيمر الوقت دون أن تلاحظه بدلًا من كونك تتسابق معه!

فعندما يمرّ الوقت دون أن نلاحظ ذلك نكون في "حالة تدفق التركيز"، والتشتت هنا هو نقيض التركيز، فالمشتتات تجعلنا 1-نحيد عن مسارنا، و2- نستنزف قدرتنا على الانجاز، و3-لا ندرك متى يحدث ذلك، و4-بهذه الحالة فالعقل يعمل بسرعة ويفرط في تحليل المعلومات ما يسبب الانهاك و5-لأنه كلما أجبر العقل على الاسراع انفصل أكثر عن الجسد وأصبح منهكًا متشتتًا.

الكتاب أي كتاب "فرانسيس بوث" المعنون: مصيدة التشتت، كيف تركز في فوضي العالم الرقمي، الصادر مترجمًا عن مكتبة جرير يفترض أن الصداقة الحقيقية هي خارج تطبيق شركة "فيسبوك"، ويري الأصدقاء على هذه الوسيلة الاتصالية مجرد "أصدقاء خياليين"، ما يستوجب منك التدرّب على التركيز مقرًّا أن الأداة الأقوى في تجهيزك لمواجهة التشتت الرقمي هي قوة الإرادة.

عموما يمكننا التلخيص من الكتاب أن القضاء على التشتت الرقمي من الهاتف الذكي النقال، وغيره من الأجهزة الرقمية يحتاج في العمل، وفي الحياة للنقاط ال15 التالية

1-كن مدفوعا ومحفزًا بالموعد النهائي

2-ضع عينيك على الجائزة (راحة، تنزه،....)

3-المهام الثلاثة الأكثر أهمية اليوم يجب أن تركز عليها بعد أن تحدّدها كل صباح

4-اسند المهام المشتتة رقميًا لآخرين (الرد على الرسائل، البريد الالكتروني، بحث عبر غوغل،...)

5-احذف مهمة: وابدأ بأصعب الأمور عليك وأكثرها تحديًا

6-النتائج فحسب: لذا ركّز على الهدف والنتيجة وليس الدوام في العمل مثلًا متى تصل ومتى تغادر.

7-أغلق الدائرة: أنجز أمرًا واحدًا واغلق الدائرة، ثم ابدأ بغيره

8-أوقِف الساعة: وفكّر قبل أن ترد على أحد وترسل ردّ أو تعليق أو رسالة

9-تفقّد مرشحاتك: أغلق بعض التطبيقات (مثل واتساب، أو لنكدإن او تويتر/إكس او....)

10-اخفض مستوي توقعاتك: فلا توزع انتباهك على جميع الأمور التي تقوم بها بالدقة ذاتها، ولنقل ضع الهاتف على الصامت، تفقد التطبيقات وقتما تريد أنتَ وليس وقتما تصلك، أسقِط التنبيهات والاشعارات، وافتح ما تريد عندما تُريد

11 -تصنيف المهمة: صنّف المهام المتشابهة معًا

12-راقب الساعة: لأن الشابكة "انترنت" أكبر مستنزف للوقت تم اختراعه في حياتنا

13-تحديد الأهداف: اكتب قائمة وحدّد أولوياتك

14-الدعم الفني بتثبيت برامج لمنع التشتت

15-قم ب"إعادة الشحن" لذاتك مثل راحة الجسد، العقل، الخروج، الاسترخاء، سماع موسيقى، ركض، رسم ...الخ

يطرح الكتاب مجموعة من المفاهيم والدراسات والتجارب الهامة والمثيرة فمن الكثير الذي يذكره أنه عندما تتنقل بين المهام فأن انتاجيتك تنخفض بنسبة ٤٠٪ وتخسر ٧٥٪ من المعلومات التي اكتسبتها، وقد تضيع بين المقاطعات، وتخسر ١٠ نقاط من معدل ذكائك! ويقول العالم "ماثيو جونسون": إن العقل لايتوقف عن العمل مطلقًا، فيمكننا معالجة ٧٠ ألف فكرة كل ٢٤ ساعة، يعني فكرتين كل نبضة قلب، لذا فإن تهدئة العقل مهارة من شأنها أن تساعدنا كثيرًا.

وحين الإشارة لمركب المكافأة "الدوبامين" فيعتبر أنه رسول عقلي يضبط جميع أنواع الأنشطة والتي تشتمل على المكافأة والشعور بالراحة والاستكشاف والعقاب، وهذا "الدوبامين" يرسل رسائلًا الى مراكز السعادة في العقل مما يجعل المدمنين (ومنهم المدمنين الرقميين) يرغبون في تكرار ذلك الشعور مرة تلو الأخرى.

وحين يعرض الكتاب عدة أساليب للتركيز (من ص ١٩١) فأنه مما يطرح أحد أهم الحلول أن تأخذ يوم "عطلة رقمية !"

حاشية:

الدوبامين هو مادة كيميائية أو هرمون موجود بشكل طبيعي في جسم الإنسان، حيث يعزز من الشعور بالسعادة، بالإضافة إلى كونه ناقلًا عصبيًا، أي أنه يرسل إشارات بين الجسم والدماغ. والتوازن الصحيح للدوبامين في جسم الإنسان هو أمر في غاية الأهمية والحيوية، حيث أنه يلعب دورًا في التحكم بالمهارات الحركية والاستجابات العاطفية ما يجعله أساسيا للصحة البدنية والعقلية. وتأثير الدوبامين يكمن في المناطق الحيوية من الدماغ، إذ يؤثر على المزاج، والنوم، والمذاكرة، والتركيز، والتعلم، لذا قد يؤدي نقصه للإصابة بأمراض معينة، منها؛ الباركنسون والاكتئاب .(Depression)

قد يعود نقص الدوبامين سواء إلى انخفاض مستوى إنتاجه في الجسم أو لوجود مشكلة في المستقبلات العصبية في الدماغ، وهذا هو تأثير الدوبامين الأساسي على الجسم-عن موقع ويبطب webteb المتخصص.

العالم علي نايفة وشروط النجاح

أرسل لي الصديق الأصيل والحبيب نزار صالح وهو من أصدقاء الجامعة والذي فرقت بيني وبينه الجغرافيا والسُنون، كا هو حال الفلسطينيين عامة، أرسل مادة متعلقة بالدكتور البرفسور الشهيرعلى نايفة (1933-2017م) وهو العالم البارز في سماء الرياضيات والفيزياء والهندسة ومجالات التبريد والصواريخ في الولايات المتحدة الامريكية التي استقبلته، فتفجرت طاقاته العلمية الى الدرجة التي غدت فيها عائلة نايفه من طولكرم كلها علماء فأخويه منير وعدنان عالمين كبيرين أيضًا يُشار لهم بالبنان مثله، وكما الحال مع أبناء المرحوم العلامة علي نايفة الأربعة (برفسورات).

اطلعت على المعلومات العلمية الموثقة ومسيرة الكفاح عن الرجل العالم والعلّامة، وأعجبني جدًا هذا النموذج العربي الفلسطيني-الأردني الفذّ الذي استطاع بالكدّ والجهد والعمل بلا كلل أن يتقدم أقرانه ويتفوق ويصل ما كان في ذهنه حلمًا .

كيف له وهو بالخمسينيات من القرن العشرين أن ينتقل من الأردن أوفلسطين ليكون طالبًا في أشهر جامعة في أمريكا (ستانفورد)؟ ثم في أهم مؤسساتها العلمية؟ وينتصر.

كيف لك ذلك لو كنت مكانه أن تسابق الريح والزمن فتنهي دراستك بتوفيق من الله في زمن قياسي لم تكف د.علي نايفه معها ما فتح الله عليه من أبواب، فألحق دراسته الجامعية ثم عمله الوظيفي بدراسات ومئات الأوراق البحثية والكتب والمساهمات والاختراعات حتى نال كما "اينشتاين" تمامًا درجة برفسور مميز.

لستُ هنا بوارد عرض سيرة حياة الرجل التي تستحق فعلًا أن تتحول الى أيقونة عربية، وفلسطينية وطنية وأردنية، الى جانب السياسيين والمثقفين والاعلاميين والعلماء الكُثُر الذين خرّجتهم فلسطين، وإنما سأعرّج على ثلاث قضايا -تهمني كثيرًا بحكم طبيعة عملي بالفكر والسياسة والكتابة وفن الحديث والأدب والثقافة والتربية والتدريب- وهي ما أشار لها الرجل الكبير في حفل تكريم له وقع في الأردن قبل وفاته بقليل.

البرفسور علي نايفة الذي تخطّي الدرجات الأربعة من دكتور الى برفسور قبل أن يدرّس في الجامعة قفزًا مستحقًا ارتباطًا بعلمِهِ وعمله يذكر أن الفرق بينه وأمثاله مقابل من سبقوه من أساتذة بالجامعات في أمريكا لم تكن السنوات ولا الحكي وإنما الانتاج، فمن كان ينتج أكثر (أبحاث ذات قيمة ودراسات ومخترعات...الخ) كان يتقدّم، وليس ذلك فقط وإنما كان يجد الانتباه الكلي والانصات بينما كلام الآخرين على طويل سنواتهم (التي يظنونها خبرة) لا يُلقى لها بالًا، إذن فالانجاز أو الانتاج هو مقياس العمل والتقدم.

في النقطة الثانية التي أشار لها متحدثًا عن الجامعة أوالمؤسسة التعليمية الناجحة (قِس عليها المؤسسات التربوية أو التثقيفية أو التعبوية في الأحزاب والمنظمات السياسية المحتلفة)، انها تستوجب تحقق ثلاثة شروط يكون فيها العمود الفقري هو الطالب (لنقل العضو في المنظمة السياسية كمقارنة...) ما فهمت المقصود به الطالب المستعد لأن يكون طالبًا أي المؤهل نفسيًا ومعنويًا ، والمُقبل على العلم، والشرط الثاني هو الأستاذ المتميّز، لاحظ المتميز بقوله فما قيمة المُردّد من الاساتذة للمنهج أو المادة دون علم أو تبصر أوتجدد أو دفع للطلاب نحو الابداع. (وكذلك الأمر ما قيمة المتحدث اوالمحاضر في دورة من دوراتنا السياسية/التنظيمية وهو لا يمتلك الحد الأدنى من مقومات فن الحديث والاقناع).

أما الشرط الثالث للمؤسسة الثقافية أو التربوية الناجحة فهو كما قال "الإدارة الرشيدة" بما فهمته أنها تهيىء الأدوات والظروف للعلم والثقافة والتقدم وإلا "إقرأ عليهم السلام" كما قال.

هذه الشروط الهامة الثلاثة كنتُ قد ذكرتها في لقاء حركي ضم قيادات حركية من "فتح" بذاتها نصًا وكتبت فيها مقالًا مؤخرًا،(العضو والمسؤول المثقف المميزوالمتابع، والإدارة التنظيمية=الحياة التنظيمية) وسرّني جدًا أن تكون المفاهيم ذاتها تجيء على لسان عالم عظيم جاء من أصلاب العرب الفلسطينيين .

ليختم العلامة حديثه بالاستفادة الثالثة الهامة لي حيث قال أنه لم يكن يقبل تخرج أي طالب لديه إلا إذا جاء بفكرة او اختراع، أو "إفادة جديدة" له، لعلنا نعي ونتفكر ونتأمل.

الكراهية وضبط النفس.

تحدث معي عدد من الأخوات والأخوة سواء هاتفيًا أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي أوبلقاءاتنا المباشرة الوجاهية شاكرين لنا في أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية نشر عدد من الملفات الحركية بعناوين: مظاهر التفكير الايجابي وبرمجته، وثلاثون مسلكية تجعلك ديموميًا غير قابل للتوقف، والذكاء العاطفي في العمل والعقلي، والاصغاء الايجابي، وكيف يبدو الناس من وجهة نظرك. ومعددين عددًا آخر من هذه التعاميم أو الملفات ذات الصبغة التربوية الاجتماعية النفسية ذات الصلة بالمجتمع والجماعة والتنظيم والفرد عامة أينما وجد، فإن أكثرهم أشاد كثيرًا بأحد الملفات الأخيرة التي أصدرناها المعنونة: فن ضبط النفس، الصبر في مواجهة الغضب والضغوط ضمن الاتصالات، والاعتذار.

ذات الأخوات والأخوة رغم أهمية ما نشرناه -كما قالوا- وضرورة الاهتمام به تنظيميًا الى جانب الاهتمام بالزوايا التثقيفية التاريخية والسياسية والنظامية والأدبية أسهبوا في شرح ما رأوه انتشار ظاهرة سيئة وسلبية في فلسطين وهي ظاهرة الغضب والكراهية، مؤكدين على الكراهية داخل صفوف التنظيم (المنظمة السياسية)، والتي افترضوا أنها أصبحت تمثل طبيعة كثير من العلاقات غير الصحيّة، والتي تنتج الحقد والغضب وغيره ما يؤدي لتقويض العمل التنظيمي وتستهلك الوقت ليس في العمل وإنما في إعاقة عمل الآخرين.

اقتباسًا من ملفنا الاجتماعي النفسي في التربية الذاتية حول فن ضبط النفس المشار إليه من قبل الأخوة والأخوات يمكننا أن نحيلكم للاطلاع عليه مشددين

على الاهتمام، ونقتبس فقط النبذة التالية لنقول: جرّب هذه الاستراتيجيات لإعادة صياغة تفكيرك:

*تجنب كلمات مثل "أبدًا" أو "دائمًا" عندما تتحدث عن نفسك أو عن الآخرين. تجعلك عبارات مثل "هذا لا يعمل أبدًا" أو "إنك تنسى دائمًا الأشياء" تشعر أن غضبك له ما يبرره. مثل هذه العبارات تنفّر أيضًا الأشخاص الذين قد يكونوا على استعداد للعمل معك لإيجاد حل .

*استخدم المنطق: حتى عندما يكون هناك ما يبرّره ، يمكن أن يصبح الغضب سريعًا غير منطقي. ذكّر نفسك أن العالم في الخارج لن يقضي عليك. افعل ذلك في كل مرّة تبدأ فيها بالشعور بالغضب ، وستحصل على منظور أكثر توازناً.

*قم بترجمة التوقعات إلى رغبات. يميل الأشخاص الغاضبون إلى المطالبة بأشياء، سواء كانت عدالة أو تقديرًا أو اتفاقًا أو استعدادًا للقيام بالأشياء بطريقتهم. حاول تغيير مطالبك إلى طلبات. وإذا لم تسر الأمور كما تريد ، فحاول ألا تتحول خيبة أملك إلى غضب.

*استرخِ: يمكن أن تساعد استراتيجيات الاسترخاء البسيطة ، مثل التنفس العميق والتخيل المريح ، في تهدئة مشاعر الغضب. إذا كنت تمارس واحدة أو أكثر من هذه الاستراتيجيات كثيرًا ، فسيكون من الأسهل تطبيقها عندما تتملكك مشاعر الغضب.

*التنفس (العميق) المركز. التنفس الضحل هو التنفس الغاضب. لذا تدرب على أخذ أنفاس بطيئة ومضبوطة تتخيلها تخرج من بطنك بدلاً من صدرك. تخيل تجربة استرخاء من ذاكرتك أو خيالك، استرخاء عضلي تدريجي. باستخدام هذه التقنية ، تقوم بشد ثم إرخاء كل مجموعة عضلية واحدة تلو

الأخرى. على سبيل المثال ، قد تبدأ بأصابع قدمك ثم تشق طريقك ببطء إلى رأسك ورقبتك.

*تحسين مهارات الاتصال الخاصة بك. غالبًا ما يقفز الناس إلى الاستنتاجات عندما يكونون غاضبين ، ويمكنهم قول أول شيء (غالبًا ما يكون غير لطيف) يخطر ببالهم. حاول التوقف والاستماع قبل الرد. ثم خذ وقتك في التفكير مليًا في الطريقة التي تريد الرد بها. إذا كنت بحاجة إلى الابتعاد عن الهدوء قبل مواصلة المحادثة ، فاقنعك بالعودة لاحقًا لإنهاء المناقشة.

*كُن نَشِطا جسديًا. يمكن أن تساعدك التمارين البدنية المنتظمة في تخفيف الضغط وحرق التوتر الزائد وتقليل التوتر الذي يمكن أن يؤجج نوبات الغضب.

*تعرف على (وتجنب) محفّزاتك. فكر في الأشياء التي تجعلك غاضبًا. إذا كنت تعلم أنك تغضب دائمًا أثناء القيادة في وسط المدينة في ساعة الذروة ، فاستقل الحافلة أو حاول تعديل جدولك الزمني لجعل الرحلة (السفرة) في وقت أقل ازدحامًا. إذا كنت تتجادل دائمًا مع زوجتك في الليل، فتجنب طرح الموضوعات المثيرة للجدل عندما يكون كِلاكما متعبًا. إذا كنت منزعجًا باستمرار لأن طفلك لم ينظف غرفته ، أغلق الباب حتى لا تضطر إلى إلقاء نظرة على الفوضى.

لا يمكنك التخلص تمامًا من مشاعر الغضب. لكن يمكنك إجراء تغييرات على الطريقة التي تؤثر بها هذه الأحداث عليك ، والطرق التي تستجيب بها. من خلال بذل الجهد للسيطرة على غضبك، ستكون أنت والأشخاص المقربون منك أكثر سعادة على المدى الطويل.

في الأدبيات الحركية نتعلم أن نتعامل مع العقل والنفس والضمير والجسد فلا نهمل أي منها، ونجد حول الموضوع فيما كتبه الراحل الكبير عثمان أبوغربية الكثير، كما نجد في أدبيات الحركة حول قواعد المسلكية في المجالات المختلفة المهم والمثير حقًا، واختلاف العصر وتطور العلوم يفرض علينا التجدد والانتباه جديًا لما أشارت له الحركة بالتثقيف والتربية الذاتية النفسية والضميرية والفكرية والجسدية، ولما آلت اليه البحوث العلمية الجديدة الهامة ما يجب أن نطلع عليه.

وعودة لحديثنا وحوارنا حول الكراهية، فلقد تحدثوا عن الكراهية مفترضين أن منها نتيجة الشعور بالنقص أوالحسد أو الشعور بالغُبن والظلم، وتظهر بحالات الشتم أو السخرية أو الإزدراء بالآخرين، وتحدثواعن عائلات فيها أشخاص ضيقو النظر الذين يؤثّرون بأولادهم، وكأنهم يورثونهم كراهية ضد أشياء أو أشخاص أو جماعات ما، ما يشعل أوار كراهية الأشياء أوالأشخاص أوالجماعة الأخرى.

تمنّوا علينا أن نتمكن من نشر مادة علمية نفسية اجتماعية تنظيمية حول هذا الداء أي حول الكراهية والقضاء عليها وقمنا في أحد ملفاتنا بعد أن اجرينا الاتصالات والحوارات مع المعنيين بانتخاب مجموعة من المقالات والمداخلات الهامة والتي تنشر لاحقًا.

لعلنا معًا، ومع أنفسنا في جهادنا الداخلي، نقضي على نار دواخلنا ونتيح المجال لأنوارنا الداخلية أن تضيء دروب حياتنا.

ومما كتبناه في الأعوام 2023-2025م، ما نضيفه للطبعة الثانية التالي:

نهر الجنون وبلد العميان!

عندما يتم الحديث عن التهييج والتجييش والتحشيد للناس فيما تفعله الفضائيات التضليلية، وتلك الكاذبة علنًا أو ما بين السطور اليوم في ظل العدوان الهمجي الهستيري والفاشي على قطاع غزة الفلسطيني والمقصود ما تفعله تلك الفضائيات أو المواقع سواء العربية أو الاجنبية، فإنها بحقيقة الأمر تقوم باختطاف (العقل) وتمنع مجرد التفكير المستقل، لأنها بتقنيات التضخيم والتكبير وتسليط الضوء الساطع على حدث، والتركيز عليه حتى لو خبا، وسحبه من فوق حدث أهم فهي تقوم باغتصاب العقل أو بتخديره أولًا ثم تصبّ فيه ما تشاء من أقذار.

الدعاية وغرائز الجماهير

الدعاية والترويج المتمسح بعباءة الإعلام- وما بين الدعاية (البروباغندا) والإعلام المصداقية المفقودة- تقوم بطمس البصر

1. فيصبح ذو الأولوية عند الناس ثانويًا
2. وتضيع العديد من المباديء والأفكار والقِيَم
3. بل ويعدّ من يناصر قيم النور والعقل والفضاء خارجًا عن الوعي

4. أو يتم اتهامه-كما حال التنظيمات العقدية الأيديولوجية- إما بالالحاد أو الكفر أو بالحد الأدنى أنه منافق أو فيه شُعبة من النفاق

5. وفي السياق الوطني يتأرجح ذو العقل المختلِف ما بين قليل الوطنية أو الخائن**!**.

لا تتورع الدعاية/البروباغندا المتغطية بالإعلام للأحزاب وللدول من

1. تكرار روايتها الكاذبة

2. ولكنها الجذابة للجمهور

3. إنه الجمهورالمستثار أو المخدوع

4. إنها الرواية المتماهية مع أحلام الانسان أو خرافاته

5. وبأشكال مختلفة

6. موجّهة سهامها لعقل المشاهد من الجماهير حتى تحطّمه

7. وهي بذلك تقبض على روح قلبه، وقفزات عواطفه فتأسره.

تخاطب الدعاية (ومنها الحرب النفسية والنمذجة والاستحمار) في الانسان

غرائزه

وآماله

وأمانيه

وعواطفه الجياشة

التي تم استثارتها عمدًا، من حب يعمى العيون، أو تفوق عنصري، أو تقدم مأمول بلا مقومات، أو نصرٌ هو بحقيقته انكسار أمة، أو غد مشرق لا شمس فيه، أو شهادة ليست في موضعها حين تكون المذبحة المفتوحة على الشعب الفلسطيني وبسكاكين الجميع بعد الصهيوني هي الحقيقة! ولا من يقدّم نفسه ليوقفها.

أو صمود بلا أي دعم، أو ثورة وكفاح ومقاومة متآكلة، ومنعزلة وآيلة للذوبان! إنها أفهام معوجّة يتم التهييج والتحشيد والتجييش لها خدمة لغرض محدد وبما تترك العقل بلا أي قيمة.

قصة بلد العميان

تقف الجماعات المنتكسة أو الأشخاص أو المؤسسات الدعائية الخلّبية، أو الدول على قارعة الطريق فلا دعم فعلي تقدمه للأمل، وإنما تقوم بعملية نفخ متكررة تستبعد العاقل فهو أعمى ولا يحق له الحديث بشكل مختلف.

وتقبل (وتصنع) الأعمى فهو وحده من يعيش في نعيم خطلها وأضاليلها، ظانًا أنه العاقل أوالمبصر في بلد العميان! وهم بحقيقة إلغاء العقل قد فقدوا أهم ما منحهم الله سبحانه وتعالى.

إن قصة بلد العميان للكاتب الانجليزي هـ.ج.ويلز قد تمكننا من النظر الى العمى القلبي وليس النظري الفيزيائي حيث تخبو الحواس ويتوقف العقل عن التفكير، ويسير في ركاب الشائع أوالرائج أوالإمعية ما يتم (التهييج والتحشيد والتجييش له) حتى في أتون الحرب الدسمة الأحداث والمجنونة على القطاع وفلسطين.

في أتون مرض غزة وفلسطين الذي أصاب العديد من الناس القريبين بالعمى (ولربموا هم استطابوا العمى على الرؤية)، قد نجده بالمقابل العكسي قد

تحول من مرض الى لقاح تم استخدامه لفتح عيون آخرين لكن هناك في البعيد.

إنه في مقابل أجيال قريبة (من فلسطين وغزة) أدمنت العيش في الظلام، فاستراحت.

وأجّرت عقولها فاستطابت العيش في وداي سحيق، فإن أولئك في البعيد كانوا قد خرجوا من الوادي (شعوب العالم الحر مع فلسطين).

ومقابل ذلك تجد الأقلام والفضائيات الكاذبة والمضللة تجرّد مصاديحها ومنصاتها لمدح وإعلاء شأن ما (ومَن) لن ينتصر بلا ظهر. لا من الجماهير-التي تدفع الثمن وكأنه قدرها-، ولا من القريب ذو الوجهين أو المتغافل، أو البعيد أبدًا، وما سيقولون رغم ذلك أنه المنتصر حتى لو رأوهُ محمول الجثة في رابعة النهار!؟

كنت قد قرأت قصة بلد العميان سابقًا، وأعدتُ قراءتها ثانية لاكتشف أن العمى في الحالة الراهنة هو تضليل مقصود، فكيف لا نرى جماعة تدّعى الحلم الرباني وتدعى النور وهي تلقي بأعباء وأحمال الشعب في مهب الريح بلا أي إحساس بالمسؤولية؟ دون أن يرمش لها جفن واحد؟

وكيف لدولة إسلامية أو عربية تدعي أنها مع الكفاح المسلح ومع النضال وهي تمدُ العدو بكافة أنواع المستلزمات وعلى رأسها الحديد الصلب (الذي يدخل في صنع 40% من الدبابات) وكيف لدولة غارقة في البحرالبعيد تريد لأهل البلاد الفلسطينيين الاستمرار بالموت بلا أدنى حالة تدخّل منها؟ وهي تفاوض المهيمن على ازدهار شعبها وبلدها وجماعتها فقط؟

ولك أن تنظر بتلك الدولة التي تصور للناس أنها (ربّ المقاومة!؟) أو قائدة محور المقاومة وهي بذات الوقت تستضيف برحابة منقطعة النظير

الإسرائيلي أي العدو، وكل الطيف المعادي وفي ذات الوقت يجد ركن الممانعة الفلسطيني ملجأه الوثير فيها بمعادلة تخبطية عميانية لم يستطع الكاتب (هـ.ج.ويلز) أن يفك شفرتها حتى الآن.

انتصار الفنادق وانغلاق الخنادق

تقوم القناة الفاجرة والمتربحة على دماء المسلمين بتزيين العمى للناس، وإغفال كل ما يشين الصورة الذهنية التي تصنعها، فلا يوجد شيء اسمه إبصار مطلقًا ولاشيء اسمه عيون او أجفان (كما برواية الكاتب "ويلز" بلد العميان) وهكذا تسلب الفضائية المستبدة عقول الناس، وتصور لهم هزيمة الشعب ومقتلته ومذابحه اليومية بالمئات وليس العشرات**!**؟ وكأنها "مقاومة"**!** وليس بأيدي الناس منجل أو معول أو حتى كسرة خبز**!**

فيما التلاشي والخذلان من نصيب حملة البنادق، الذين استراح قادتهم في دفء الغرباء وصخيب أكاذيبهم، وأصواتهم النافخة في كير الانكسار لتصور تحقق أهداف الإسرائيلي بالجرف والتدمير والقتل والتهجير، أنه انتصار للفنادق على الناس ومطالبهم وأولوية خدمتهم وحمايتهم ووضع احتياجاتهم مقدمة على احتياجات "الفدائي"، او القائد المزنّر بمرافقيه المتخمين**!**.

العمى كما يُقال عمى القلب، وكما يقول الله تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)-الحج).

والشيء بالشيء يذكر ففي مقابل قصة بلد العميان (حيث الناس عمياء كلها، واستطابت العمى، والمبصر لا مكان له، بل هو مُدان ومطارد ويجب سمل عينيه) نجد مسرحية توفيق الحكيم المعنونة: نهر الجنون حيث يرى الملك فى الحلم أفاعى تهبط من السماء، وتنفث سموما فى النهر، تسبب الجنون

لكل من يشرب من مائه. فيتوقف الملك والوزير عن الشرب من ماء النهر، ويستبدلان بالماء النبيذ.

وفي أحد الأيام يدخل الوزير على الملك وينبئه أن "الملكة" قد شوهدت وهي تشرب من ماء النهر. يجزع الملك فقد كان قد حذرها من ذلك.. يطلب من وزيره أن يستدعى كبير الأطباء ليشفيها، ولكن الوزير يخبره بأن كبير الأطباء قد شرب أيضا من ماء النهر وهكذا في كل المحاولات مع الكاهن وغيره...إذن كلهم قد جنّوا (برأي الملك ووزيره).

فيقول الوزير للملك:أن المجانين (أي الناس) يرموننا نحن بالجنون.. يتهامسون ويتآمرون علينا، ومهما يكن من أمرهم وأمر عقلهم فإن الغلبة لهم، بل إنهم وحدهم الذين يملكون الفصل بين العقل والجنون، لأنهم هم البحر، وما نحن إلا حبتان من رمل.

ومازال الملك أو الزعيم الممتليء كِبرًا وغباءً ووزرائه الكُثُر يشربون النبيذ الى اليوم وقد جرّوا معهم الناس خارج موقع المجزرة والمقتلة لشرب النبيذ كي لا يروا حقيقة الموقف في أكبر مذبحة ومجزرة ضد الشعب الفلسطيني في غزة بالتاريخ الحديث!

يقول الفليسوف الألمانى "نيتشه" فى كتابه الجميل "ما وراء الخير والشر": "من النادر أن يصاب الأفراد بالجنون، ولكن ليس من النادر أن يصاب به الجماعات والأحزاب والعصور".

إن العمى أو الجنون أو ما نسميه الحرب على العقل والوعي، أو ثلاثية التهييج والتجييش والتحشيد لطرف غافل عن حقيقة دوره ومهمته، وواجبه أمام الله وأمام حماية الناس، ولو مات كل الناس هو السائد في ظل الدعاية المضلّلة، والحرب المجنونة والدعاية المجنونة، والأفكار العمياء حيث

الاصطفاء للقلّة المتنعمة مقبول، وتغييب الكثير وإعدامهم يمر بلا أي دمعة حزن! (دونت في عام 2024م)

أنا والأصدقاء وخلافنا السياسي

في ظل العدوان على فلسطين من بوابة إبادة قطاع غزة، ومن خلال مذبحة صبرا وشاتيلا متكررة يوميًا (2023-2024م)، وعبر الكارثة الانسانية العظمى بتاريخنا، وبأعادة القطاع الى العصر الحجري، مررنا خلال 8 شهور بعدد من الصراعات والخلافات والحوارات والجدالات مع بعض الأخوة والأخوات فيما يتعلق بفهم القضية الملتهبة، والعدوان ومنهم من استطعت المحافظة على علاقته معي، ومنهم مَن لم أستطع بشكل كلي

دعوني أعرض لبعض النماذج بدون أسماء، لأنني لم استأذن أي من الأخوة أو الأخوات الأصدقاء بذكر أسمائهم وسأستبدل ذلك بأسماء حسب الحروف الأبجدية

مع الأخ (أ)

كان حواري الأول على مدار الشهور مع الاخ (أ) وهو أخ كريم قريب مع وجهة نظري ولكن ليس كثيرًا، عوضًا عن أنه ينتمي لتنظيم سياسي آخر. في النقاشات حاولت أن أجذبه لمربعي وقد أكون نجحت أحيانًا وفشلت في أحيان أخرى. أراني الآن استثمرت الصداقة بالتعبير عن رأيي مقرونًا بغضبي وقلقي وأفرغت شحنات الغضب في مراحل معينة وبما يتعلق بالقضايا المختَلَف عليها بوجهه هو، ما يعني أنني أثرثُ الانفعالات المقابلة من الطرف الآخر، وذلك قد يكون أرسل رسالة للأخ المعني أنني لا أتفق بشدة معك لأن أس البلاء ورأس المشكلة والسبب لم نتفق عليه من حيث انعدام الوعي والزهو وسوء إدارة المعركة وعدم قبول النقد وتقديس

الأشخاص والأفعال. لقد كان لتداخل الانفعال الشخصي مع الرأي حصاد سلبي إذ حصلت القطيعة الجزئية والتدريجية بمحبة ودون إنذار.

مع الأخ (ب)

مع الأخ (ب) وهو الرجل الوسطي ما بين طرفي النزاع السياسي الفلسطيني لم يرى الا ضرورة التقارب والتوحد باعتباره أحد أهم عوامل الانتصار. وكنت في مراحل محددة أتصلب معه بالطرح ضد مواقف الفصيل الذي جعل من قيمة الانسان صفرًا، وكأنه غير مسؤول عن نتائج قراراته وأفعاله أو كما قال بعضهم عن الناس"خسائر جانبية" وأحيانًا "ضرورية"؟!! وغير ذلك من تصريحات مخيبة للشعب وللإنسانية والمقاومة والكفاح فكان لشحنات الغضب أن أصابت الأخ (ب) لكنني تدراكت الوضع واتصلت به مرارًا واعتذرت له، ليس عن رأيي فهو رأيي وإنما عن الصراخ بحضرته (وإن كان ذلك تم هاتفيًا فهو بالبعيد عن فلسطين).

وتواصل الحوار واستمرت الصداقة العتيقة (كان لزامًا أن احتفظ بها فهو في عقلي وقلبي لم يفارقني أكثر من 30 عامًا) لكن بعد أن فهمت أنه لا يجوز لي أن استخدم صديقي منبرًا للتنفيس مطلقًا، ولا يجب عليّ أن أجعل رأيه مطابقًا، ورغم قربه السياسي فهو ذو رأي قد يختلف في زوايا يراها أساسية كان من المتوجب عليّ تفهمها وهذا ما حصل.

تواصلت صداقتنا ضمن حدود لم تمنعني من تسريب وجهة نظري المخالفة في نقاط محددة تسريبًا، أو بين السطور، وعبر ذكر الحقائق وكنت أقوم بذلك بمعنى العرض، وليس الرغبة الجبرية بأن يقتنع ما كان أملي.

لا تشخصن واستمع بصبر

دعني أخرج قليلًا واقتبس من علماء النفس-خاصة حين نقاش الأمور السياسية مع الأصدقاء- ما لربما استفدت منه ولو قليلًا..يقولون:

1-لا تشخصن الأمر فقد يتحول استخدام الهجوم الشخصي إلى مانع للاستيعاب

2-لا تهِن السياسيين الذين تختلفان في الرأي حولهم، فتهين صديقك بإهانتهم

3-اخترالتوقيت والمكان المناسب بعيدًا عن التعب أوالحزن والغضب

4-لا تبدأ النقاش حول السياسة مع أولئك الذين يؤمنون بأيديولوجيات معاكسة

5-يمكنك (يمكنكما) وضع بعض الحدود التي تساعدك في تقييم الأمر

6-لا تحاول تغيير ما يؤمن به، بل تفهمه حتى لو كنت لا توافق

7-ركّز على غالبية الأشياء الإيجابية، بدلا من إثارة الجدل حول القضايا الخلافية

8-مارس الصبر والاستماع، ولكن عندما تحتدم الأمور، تراجع وغيّر الموضوع.

مع الأخت (ج)

مع الأخت (ج): مع بداية العدوان على غزة وشلال الدم، كانت في قمة الثوران والهيجان العاطفي والعنف اللفظي ضد من تختلف معه بطريقة مفرطة، بل مفرطة جدًا!

اختلفنا بشدة، ولم استطع أن أتوافق معها، إلا بعد محاولات ومن خلال استراتيجية ترك الجدل والحقن بالآراء المختلفة ضمن الاحتضان

والاستيعاب لحالة الغضب والثوران والتهييج التي لعبت فيها بالطبع قناة التهييج الأولى أي قناة الجزيرة دورًا قاتمًا، إذ حرفت ردة الفعل لمصلحة فصيل بعينه وليس لأجل الشعب الفلسطيني قط، وضد جهة أخرى غير إسرائيلية.

للمفاجأة فإن استراتيجية ترك الجدل والحقن (بحقائق وآراء لمحايدين أو أجانب) والاستيعاب وعرض الرأي الآخر عرضًا متمهلًا-ضد قسرًا- قد أثمرت وأتت أكُلها بعد 40 يومًا تقريبًا، لكن تم ذلك في ظل مثابرة وصبر وتحمل وتواصل يومي لا يهدأ.

وكأن العرب حين قالت: من عاشر أو جاور و(ربما حاور بحق الحوار مع المختلف هنا من الاستماع والاحتضان والاحترام وعدم القسر والحقن) 40 يومًا صار منهم. أنه مثلٌ في حالتي هذه مع الأحت الثائرة الكريمة قد أينع وأثمر حقًا.

مع الأخ (د)

في حواري مع الاخ (د) كان الوضوح أكبر، لأنه بعيد جدًا بالمسافة الجغرافية، وفكره اليساري كان واضحًا رغم توافقنا في الكثير فلست من اليسار بالمعنى الأيديولوجي.

وما أنا إلا مسلم مؤمن والحمد لله، وعربي فلسطيني وطني هكذا أنا، صاحب منهج عقلاني متفهم أوأظنني كذلك، وهو بالمقابل كان لديه لينين وماركس وفكرهما مرشدًا في نظرة مختلفة.

صديقي هذا كان عقلانيًا أيضًا، وكنا معًا نعرف الفوارق فكان الحذر بالنقاش هو الأساس حتى كان الاستدلال المتبادل على موضع الاتفاق وموضع الاختلاف، فأكثرنا من الأول وقلّصنا من الثاني.

لربما فهمنا دون كلام معنى قول الإمام الشافعي، وهي بعد البحث مقولة للشيخ رشيد رضا القائلة "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه".

مع الأخ (هـ)

في حوار مع الأخ (هـ) الذي كان يقترب كثيرًا من الطرف الآخر كما رآه بعض الأصدقاء فحاولوا تشويهه أو مقاطعته، والطعن به ولربما قاطعه بعضهم! وكنت أعلم في قرارة نفسي أنه يخوض صراعًا داخليًا عميقًا لربما اقترب من صراعي أنا الداخلي، بين الأفكار المتعارضة وضرورة تحمل المسؤوليات والمراجعات والنقد، لكنني استطعت أن أفرز وأحدد واستنتج وأضع الخطوط وهو تأخر كثيرًا وكأنه يبكي ماضٍ أحبّه حاضرًا، وأنا رأيت أن ما يمرّ به محاولة مفهومة بينما رآها الآخرون ارتدادًا عن الحقيقة والصواب وعن التنظيم.

في العموم تراسلنا وتحدثنا معًا بين أخذ ورد، وقراءات مختلفة نقرأها معًا كل في حيّزه، واستخدمت بالتالي نظرية الاستيعاب والصبر وعدم الشخصنة وتبيان مواضع الاختلاف دون إبداء حالات الغضب أوالانتصار للرأي، أوالقسوة نتيجة مخالفته لرأيي كصديق.

هذه نماذج خمسة وغيرها الكثير ممن عاشرته أوحاورته، واختلف معي واختلفت معه/معها، لكنه في جميع الأحوال يمكننا القول أن الصداقة وما تجرّه من محبة-خاصة إذا كانت قديمة معتّقة ومتواصلة أي من أيام الدراسة أو أيام القاعدة أو أيام المعتقل اوأيام العمل المشترك او أيام التنظيم السياسي- يجب الحفاظ على ديمومتها، ويعتبر هذا الحفاظ يستحق مني ويستحق منك إن تتواضع قليلًا فلا تفرض أو تهتاج أو تفرّج عن غضبك في وجهه، وعليّ كما عليك أن نتعلم معنى الحوار وفن الحديث والاختلاف عامة، ثم

استراتيجية التعامل مع الأصدقاء خاصة بخماسية حُسن الاستماع والاحتضان والاحترام، والتدريج وعدم القسر، والحقن.

صلاح خلف (أبوإياد) والاختلاف، والرِعاع

في الردّ على عددٍ من الأخوات والأخوة الكرام الذين تواصلوا معي، واشتكوا بمرارة من الحملات المسعورة اليوم التي يتم شنّها على الثورة والمقاومة والنضال الفلسطيني قديمًا وحديثًا، وبتعجب منهم أن تطال قائد أو أكثر من شهدائنا الكبار والرموز العريقة، آثرت البدء بالترحم على كافة الشهداء، كافة شهداء فلسطين بالطبع وشهداء الأمة في سبيل فلسطين وفي سبيل الحرية وضد الظلم والاستخراب (الاستعمار) والاحتلال والاستبداد.

واخترت أن أخاطب الكل عبر الواحد من خلال أحد كبار القادة الشهداء وهو الأخ صلاح خلف (أبوإياد) الرجل الثاني في حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح وعقلها السياسي والأمني والاستراتيجي الفذّ بإطار ردي كالتالي:

رحم الله معلمي وأستاذي وقائدي، قائدنا جميعًا، الأخ أبوإياد الذي لم نملّ يومًا بالكتابة عن مآثره الكثيرة ولن نمل. لن نملّ ولن نتوانى عن ذكرِهِ الطيب، وعن ذكر القادة الكبار أجمعين.

إن القائد الفذ صلاح خلف أبوإياد وكلّ الجيل المؤسس هم الذين على أيديهم تربّينا على حُب فلسطين أولًا، فهي البوصلة فقط، لا شرقية ولا غربية. وهي المقياس وهي المحور ومن يلتف حولها فأهلا به وسهلاً، وإلا فلا.

مدارس رحابة ومحبة ونقد

وتربينا منهم على حُب أهلنا وناسنا، شعب فلسطين، وضرورة تضحيتنا بأنفسنا نحن كمناضلين ومقاومين وثوار من أجلهم، من أجل هذا الشعب الذي رَفَعَنا، ورفع القيادة الثورية على أكف المحبة والوفاء والولاء، وما خذلوا شعبهم أبدًا فاستشهدوا ليحيا الشعب الفلسطيني بكل كرامة، وعلى درب تحرير الأرض، جيلٌ يسلم جيل حتى النصر.

على أيدي الرواد الأوائل للمقاومة الفلسطينية منذ الانطلاقة عام 1965 بل وما قبلها من مقاومة وثورات وجهاد وكفاح، على أيدي القادة المؤسسين، وفي ظل القيادة التي حققت المستحيل بالاعتراف العالمي بفلسطين والوطنية والكيانية والهوية المنتزعة من فم الذئاب، تعلمنا الدرس الأول في القضية.

وفي مجالسهم وندواتهم ولقاءاتهم المرحابة المحبّبة فهِمنا وعَقِلنا فكرة الثورة والمقاومة والنضالية والديمومة بكافة الأشكال وعبر تعدّد السُبُل لهذا الشعب البطل.

(السير بخط متعرج كما الحال حين السير بحقل الألغام كما كان يردد الخالد ياسر عرفات).

وفي إطار رحابة عقولهم المنفتحة وتسامح فضاء تفكيرهم الواسع

واحتضانهم

تحاورنا

واختلفنا

وصرخنا

وصمتنا

وتناقشنا

وتجادلنا

بمحبةٍ غامرة

وبأدب الحوار والنقاش

والنقد

وضمن أسس الديمقراطية التي توازن بين القول والفعل، وبين المقبول والمرفوض، وأيضًا آخذين بالاعتبار مكان ومضمون وجوّ الحوار، وما يقال ومالايقال ولكل مقام مقال وليس كل ما يُعرف يُقال.

على أيديهم تعلّمنا أسسَ الحوار ومقابِلَه الالتزام.

وتعلمنا أن نفهم ما نقوله، وكيف ومتى وأين وأمام مَن؟ من ضروب فن الاتصالات والخطاب والحديث والكلمة المحترمة، والتعامل مع الجماهير، وفنون الاستماع والانصات والرد والتي كان الفذ صلاح خلف أحد مروّضي الكلمة الكبار.

كما تعلمنا أسُس النقد والنقد الذاتي، ما لم نستطع معه اليوم أن نتخلى عنه، في خضم العدوان الفاشي (الصهيو-أمريكي) على أهلنا الأبطال في غزة العظيمة، وغرق القطاع في وحل الإبادة الجماعية والتهجير و(مجزرة صبرا وشاتيلا) اليومية لهذا الصهيوني المتوحش، وتدمير غزة الممنهج -وبالضفة- فلا أرض ولا سماء ولا أرواح بقيت سليمة مقابل الوهن العربي، والعمى لدى بعض الأطراف الفلسطينية عن حقيقة المتغيرات وضرورة مراجعة الذات والتوقف عند الحقائق قبل فوات الأوان بمد اليد من الأخ الى الأخ.

عين الرضا وعين السخط

تعلمنا أن الحق أولى وتعلمنا قول كلمة الحق التي عدّها النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الجهاد، وفي تعلمنا للنقد كان الأدب الجمّ فلا شتم ولا تشتيم ولا إيذاء ولا تحقير مطلقًا، بل الأساس المُقاس عليه هو التعرض أو نقد الفكرة أو الرأي أو الموقف الذي بطبيعته متغير.

وما كان يومًا للاختلاف ما بين القادة الكبار -كما شهدنا- أن أدى

لا لتخوين

ولا لتكفير

ولا لتشهير صارخ

كما يحصل اليوم بلا خجل وعلى رؤوس الأشهاد.

شهدنا خلافات كثيرة بالرأي والمواقف بين الأخوة -سياسية وتنظيمية وفكرية...- ومنها ماكان بين أبوعمار وأبوإياد كمثال والتي سرعان ما يتدخل فيها بينهم كافة الأخوة من كافة ألوان الطيف السياسي يمينًا ويسارًا بل وأخوة عرب كرام أحيانًا فيحلوها، ليمتلئ وجه كل من الرجلين الكبيرين حبورًا وابتسامًا، وهما يردّدان-وكأن شيئًا لم يكن- قول الإمام الشافعي: وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ/وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا.

مَن فاتَهُ قطار التعليم المباشر وجها لوجه (الوجاهي) من مجالس هؤلاء الكبار فعليه أن يقرأ ويسأل ويستمع بتفكّر، ويتعلم منهم المبادئ والقيم والاخلاق أولًا، بعد فهم معنى أن فلسطين هي البوصلة.

وله أن ينتقد ولكن ضمن منظومة القيم العظيمة التي تجعل من الحب والوفاء والاحترام والأدب العنصر الرئيس في القول وبالرد.

ومن امتنع عن التعلّم من كتاب رب العالمين، ومن المعلمين الكبار، وارتبط بمسارات الطعن والسخرية والاستهزاء أو العبث أو الكذب والادعاء وإحداث الفتنة -وما أكثرهم على الشابكة ووسائل التواصل الاجتماعي اليوم، خاصة المرئية منها- فإما جاهل استمرأ جهله، او منخرط ضمن لعبة أكبر منه أو حاقد، أومنحطّ الاخلاق أو عابث لا يرجى شفاؤه.

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ (أي حمقى عابثين) أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَ لَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ" . ومن هؤلاء الرعاع على الشابكة (Internet) الكثير ممن يتصدرون الرائج trend!

إن من يعمي عن ذكر ربه سبحانه وتعالى، وعن القيم خاسر، ومن يعميه الحقد والغضب والشهوة والإفساد خاسر ومضلّل، ومن يعميه المُلك والسلطة والحُكم والتحزّب والطاعة العمياء فاسد.

المطاعن لا تبرر التقديس، لكنها تؤصل للوفاء

أما بالنسبة للحملة الإعلامية والمطاعن ضد حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح اليوم عامة، وربما ضد بعض قادتها المؤسسين، وضد الحركة الوطنية عامة فتجدون الكثيرين ممن ساروا ضمن هذا النهج الانتقامي والشخصاني الحاقد من جهة، أوغير السوي من جهة أخرى. وهو ليس بجديد أذ تمت كتابة عدة كتب بل وأجريت مقابلات مرئية وإذاعية لمن له صِلة ومن ليس له صِلة بالمقاومة الفلسطينية، وأحيانًا لمن هبّ ودبّ ضد الخالد ياسر عرفات وضد أبوالسعيد خالد الحسن، وضد جورج حبش وضد

غيرهم الكثير. وردّ الكثير من المنصفين من الكتاب العرب والاجانب والفلسطينيين على كثير منهم سواء بالكلمة الملتزمة والأدب أو بشدة المناضلين والحجّة بالحجة، وبما هو"بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ -النحل 125".

نعم، هم ليسوا قديسين وليسوا منزّهين. ومن المهم نقد المواقف والسياسات والأفكار بالدليل والحجة والمنطق، لكن دون مسّ ذات الشخوص وعوائلهم..الخ. ومن هنا نرفض تقديس الأشخاص لكن الاحترام والمحبة والوفاء والقيم هي الجدار المانع للتشويه والكذب والاتهام وصبّ نار الحقد من أفواه الموتورين والحاقدين والعميان.

وردًا على أحد الأخوة عن دوري الشخصي-وحقه أن يسألني فقلت-أما بالإعلام كإعلام في حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح فأنا كشخص مهمتي بالحركة وزملائي هي الدورات السياسية والتنظيمية والدراسات والقضايا الفكرية والتثقيفية، ولي بالشأن كتبٌ كثيرة. وهي بكثير منها تستلهم سيرة الخالدين من شهدائنا الذين ضحّوا بأنفسهم لأجل فلسطين ولأجل شعبنا الفلسطيني البطل. وبالطبع على رأسهم أبطال فلسطين والأمة العربية أمثال الأخوة أبوعمار وأبواياد وأبوجهاد وأبواللطف وكمال عدوان وأبوعلي مصطفى، وعبدالوهاب الكيالي، وإسماعيل أبوشنب، والى جانب الساسة عديد المثقفين والمفكرين الكبار بالأمة...الخ.

ولا أجد أنا شخصيًا في الدورات أو الندوات أو الورشات والندوات أو في كتبي أو مقالاتي الا الإشارة الدائمة لهم في مئات المواقف والمشاهد والأحاديث المأثورة عنهم، لما في ذلك من نموذج وقدوة وقيم ومبادئ تحلوا بها -ونفتقدها بعدد من القادة اليوم- وتعلمناها وفيها تحفيز عظيم للجيل القادم.

رحم الله كافة الشهداء، ورحم الله القائد صلاح خلف الذي كان يردّد دوما القول المنسوب ل"فولتير" : "قد أختلف معك في الرأي ولكني مستعد أن أدفع حياتي ثمنًا لحقك في التعبير عن رأيك".

"نتنياهو" والترويض الثقافي

وعن الحملة الموتورة القائمة اليوم ضد فلسطين، وضد الفكرة الوطنية وضد قادتها بضرب كل من حركة فتح والشعبية وحماس والجهاد ببعضها وبأساليب رذيلة -وليس بالنقد اللازم والمطلوب دومًا- فإن المَصاب جللٌ ولم يحدث منذ العام 1948 فيما يحصل في قطاع غزة، ما جعل كل من يمتلك حسًا ثوريًا أو مقاومًا أو كفاحيًا يراجع أفكاره عبر المسيرة، فيتوه أحيانًا ويحتار، ويحاول تلمّس المخرج فإما يتراجع وإما يتقدم، ويراجع ويخاصم ويعترض وهذا حقه، لكن مقابله بدأت قوى الظلام أو ما أسمتهم حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح بأدبياتها (النباتات المتسلقة) تعبث فقط لإحداث الفتنة وضرب النسيج الداخلي سواء الفصائلي أوالإسلامي-المسيحي العظيم، وتدمير الثقافة الوطنية النضالية كما تدمير الثقافة التشاركية الديمقراطية السلمية التداول أيضًا، عوضًا عن ضرب الرابط الحضاري الأصيل بالأمة العربية التي ما نحن الا قاطرة في قطارها كما كان يردد المفكر الكبير خالد الحسن.

قال "نتنياهو" بلاءاته الكثيرة بوضوح "لا حماسستان ولا فتحستان"، ولا دولة فلسطينية، والأولَى قطع دابر مقدمة الدولة أي لا سلطة وطنية فلسطينية على قاعدة أنّ الكل يعمل في الإرهاب**!؟**

فإن كان حُب فلسطين أو النضال بأشكاله المختلفة هو الإرهاب فهذه بدعة جديدة لتصنيف الحب**!**

وإن كان القصد هو تدمير أو ترويض الثقافة الوطنية الكفاحية وتدجينها لتقبل بالمحتل سيّدًا أبديًا، فهذا ما يسعى له اليمين الإسرائيلي الفاشي ولن يقبله أحفاد صلاح خلف وأبوعمار وأحمد ياسين والشقاقي وجورج حبش وأبوعلي مصطفى، وعبدالرحيم أحمد وأبوالعباس. وحتى مَن تاهوا عن الطريق قليلًا سرعان ما سيعودون لحضن الوطنية الجامع أو نأمل ذلك.

أبوإياد وأبوالهول وقصة ذات دلالة

حدثني الأخ سامح عبدالمجيد أحد مساعدي الراحل صلاح خلف أبوإياد في قصة ذات دلالة، ويشهد عليها الأخ مروان عبدالحميد الأمين العام لاتحاد المهندسين: "إذ اختلف كل من الأخوين هايل عبدالحميد (أبوالهول) وصلاح خلف (أبوإياد) يومًا (وهما عضوا اللجنة المركزية للحركة ومسؤولان عن الأمن آنذاك) وعلا صوتيهما. ثم خرج كل منهما من الاجتماع غاضبًا، فتوترت الأجواء حولهما وانتشر الخبر. وكنتُ بذات الفترة مع أخوة آخرين في مكتب الأخ عبدالله الافرنجي (لاحقًا أصبح عضو مركزية) وإذ به يتلقى اتصالًا ولحقه اتصال ثاني بعد 10 دقائق. كان الاتصال الأول من الأخ أبوإياد وكان الاتصال الثاني من الأخ أبوالهول. حيث طلب أبوإياد عبر الهاتف من عبدالله ترتيب عشاء اليوم (أي ذات يوم المشكلة) أو على الغداء غدًا يدعو فيه أبوالهول دون أن يذكر لأبي الهول أن أبوإياد سيحضر الغداء**!** وكان الاتصال الثاني بنفس المضمون من الطرف الآخر للمشكلة أي أبوالهول طالبا الدعوة للغداء دون إعلام أبوإياد بحضوره**!؟**

فتعجّب كل من في المجلس، الذين وصلهم خبر الاختلاف وشهدوا المكالمتين، ومنهم من فاضت عينيه بالدمع. تطوع الأخ امين الهندي (أحد مساعدي أبوإياد آنذاك) الموجود بالجلسة للقاء الأخوين علّهُ يعرف المشكلة،

فزار كل من القائدين في مكتبيهما تباعًا ولم يستطع أن يسمع من أي منهما كلمة ضد الآخر، فعاد بلا نتيجة.

في اليوم التالي وعلى الغداء -حيث حضر الجميع-كان الأخوين أبوإياد وأبوالهول يتلاطفان وكأن ما حدث بالأمس من اختلاف وغضب وصراخ لم يكن-وكل منهما يظن أنه صاحب الدعوة- فما كان بعد الغداء الا أن وقف الأخ عبدالله الافرنجي ليحدثهما والجميع عن حقيقة عزومة (وليمة) الغداء والاتصالين بالأمس وأن كل من القائدين بادر بحقيقة الأمر للمصالحة عبر العزومة.

هكذا كانت العلاقات الأخوية والمحبة أقوى وأكبر من كل الخلافات وحالات الغضب، وما هذا المثال الا نموذج تكرّر مثله العشرات أو المئات في تاريخ المقاومة الفلسطينية الطويل من أولئك المدارس التي تعلمنا منها.

"الهمج الرعاع" والاجتزاء والافتراء والسخرية والتضليل

إن الحملة الشعواء الجديدة تكاثرت لأن هناك (الهمج الرعاع) كما أسماهم علي بن أبي طالب أو(الإمعات جمع إمعة) كما أسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم. أو من أسموا (الغوغاء) بالتاريخ الحضاري العربي الإسلامي حيث يتجمد العقل وتثور الانفعالات، ونجد المؤدلجين الذين لا يرون إلا أنفسهم في بوتقة حزبهم، والباقي لا شيء، كما نجد أصحاب الأجندات الخارجية...الخ فما بالكم والفضاء الالكتروني انكشف للجميع!

والى ذلك أو وراء العديد من الجهّال والحاقدين والعابثين جهات منظّمة ومؤسسات-سواء علموا وانخرطوا معها وأهدافها بقصد، أم لم يعلموا- تخصّصت بنشر الأكاذيب والإشاعات، وتعمّد التشوية المطلق أو الاجتزاء والبتر المهدّف للأفكار والمواقف، أو إحداث الخلط والبلبلة والفتنة وترسيخ

الشِقاق وحالة التشاتم مثل المؤسسة الإسرائيلية الالكترونية المعروفة ببث الإشاعات ضد هذا والآخر، وهي نشِطة بدرجة لا تخطئها أي عين حين ندقق بالمكتوب.

وتجدون آلاف الصفحات على فيسبوك وغيره تطعن في حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح كما تطعن بالفصائل الأخرى مثل "الجهاد" و"حماس" وتطعن بالقائد س من "فتح" والقائد ص من "الشعبية" وبشكل مرذول لتخلق شرخًا أبديًا ضمن سياسة تعميق التحزب والإقصاء والكراهية.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾- الروم 8، فما لنا ألا نتفكر!؟

عودة على بدء إن من أسهل الأمور اليوم هو الاجتزاء أو الافتراء أو السخرية أوالتضليل أوالتشويه ثم الاتهام وهي مهمة الفاشلين أو العميان أو الحاقدين أوالفاسدين، ومن ورائهم المؤسسات المنظمة خاصة التابعة لحرب الإشاعات والتضليل الصهيوني ومن يسير على دربهم من فضائيات ومواقع وأشخاص.

ولن ننجح بالتخلص من أفكار هؤلاء وعبثهم أو حقدهم الا بالتوحّد نحو فلسطين، وبنور العقل والتفكّر الذي حضّنا عليه المولى عز وجلّ، والتعلم من النماذج القيادية الكبار، وبالوعي وتثقيف الذات وهو ما يجب ألا نتخلى عنه فالانفعالات والعواطف المهيّجة أو المشحونة سرعان ما تتغير، ويبقى العقل والقيم حصن المناضل والمقاوم والمؤمن.

زميلي الأحمق العزيز؟!

لا بد أن كل انسان قد صادف بحياته شخصًا مُتعِبًا جدًا، لا يرى الآخرين، قليل الاهتمام كثير الشكوى، بسيط الفكر عظيم الادعاء، قليل الخبرة كثير الاستعراض، لا يعرف أن يزِن كلماته.

والى ذلك فإن فمه الكبير دومًا ما يوقعه بالمشاكل، ولايقبل الا أن يُشرك الجميع معه. وهو الى ذلك لا يقرّ ولا يعترف بأي من أخطائه كما لا يستطيع أو لا يجرؤ أن يقول آسف أوأي من مشتقاتها، وإن حاول فهو لا يعترف كيف يختار الوقت المناسب ويقول قولته هذه من وراء ظهره ما تراهُ بسلوكه التالي!

لولا العيب!

الأحمقُ والسفيه قد تجده بالشارع أو المحل التجاري، وربما في المدرسة والجامعة والبيت والحارة والقرية والمدينة والبادية، والأفظع أن تجده بالعمل والنشاط والوظيفة أو في المنظمة الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية. وقد تتساءل وهل في مثل هذه المنظمات من حمقى؟ لتكتشف الكثير! ومنهم عرفتُ عددًا لا يُستهان به.

والله لولا العيب لكنتُ قد كتبت في حمقى المنظمات السياسية مثل حركة فتح وحركة حماس والجبهة الشعبية ممن أعرفهم، أوتابعتهم كتصريحات ومواقف وأفعال مثيرة وغريبة وحمقاء الكثير عبر السنوات الطوال، ما لايجوز في أيامنا السوداء هذه والحِرابُ تطعنً بنا من كل مكان فعله، ولا

أظنني قادر لاحقًا أيضًا على تسميتهم للعامة لأسباب قد يفهمها الخاصة ويؤوّلها العامة.

صفوانٌ عليه تراب!

أحدهم كان لايرى أبعد من أنفه، بسيط الفكر لا يستطيع أن يخرج عن قاموس مصطلحاته الذي حفِظه عام 1964 أي قبل انطلاقة الثورة والمقاومة الفلسطينية الحديثة، ومازال يكرّره رغم الأهوال التي أحاطت بالقضية وأدت للتغيير!

وآخر عندما تكلّمه المرة تلو الأخرى، ولو كلّمته ألف مرة فإن كلامك المتجدّد والمتغير بالنسبة لك لا قيمة له عندهُ إذ يمر عليه كما يمرّ التراب على سطح الصخرة الملساء التي لا يستقر فوقها الترابُ أبدًا (كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا....البقرة 264) فما بالك ونسمة ريح تهب عليه بلا توقف؟!

وثالث عندما تمدّ يدك لمساعدته يتوجّس ويفترض الضعف إن طلب منك المعونة أو يفترض أنك تأخذ عليه ميزة ما.

وعرفتُ أحمقًا آخر لا يقتنع بالدليل والحجّة ولا بالرؤية والشرح، كما لا يقتنع لا بالتكرار الذي يعلم الشطّار، ولا بالإتيان بالحجة والدليل حقيقة راسخة أمامه؟! فما قد استقر بذهنه الصغير منذ الصغر هو فقط المرجعية له، ولا غيرها فتتعبُ نفسك وتعاني مفترضًا إمكانية التغيير وهيهات هيهات، فلا مجال لك لفتح الباب!

الأحمقُ القائم

قائدٌ سياسي معروف وضعَ من الأهداف الصعبة أمامه ما لن تستطيع جيوش مجتمعة أن تحققها، وقام بتوزيع رئاسة محافظات فلسطين المحتلة "إسرائيل" بين أنصاره منذ الآن! مفترضًا أنه بالكلام المنمّق الكبير، ومع صوته الصارخ بلا تخطيط ولا عمل ولا تحالفات...الخ، وبكثير من العمى والحُمق والهبل سيحرّر فلسطين خلال سنوات حدّدها (عمومًا انتهت المدة المحددة من زمن طويل ومازال هو قائمًا، أو قاعدًا خارج فلسطين)، والأدهى والأمر أن العميان ممن يصفقون له ويهلّلون ويكبّرون مقتنعين بالهراء والحمق والجهالة الى حد التأليه!

وهناك من الحمقى ممّن يدّعون العلم والفِهم ومنهم حملة الشهادات الورقية العليا، ويحتفظون بحرف من الحروف المعرّفة لهم، وكأن دراستهم أوقفتهم عند حد إضافة الحرف لأسمائهم فقط وانتهى عهدهم بالعلم والثقافة والدراسات والفكر، طلّقوا العلمَ فهم الى الجهالة أقرب والى عدم القدرة على فهم الاختلافات بالاتجاهات والمواقف من الحمار الذي يتجاوز مرعاهُ الى حديقة تعجّ بالأسود فيستمر بالرعي، وكأن لا شيء من حوله قد تغيّر، فصفته (أي الحرف) لصيقة به وكفى!

قالت العرب يُعرف الأحمق بستِ خصال: الغضب من غير شيء والإعطاء في غير حق والكلام من غير منفعة والثقة بكل أحد وإفشاء السر، وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه ويتكلم ما يخطر على قلبه ويتوهم أنه أعقل الناس.

يقولون أن في كل منا في مرحلة أو موقف ما حُمق أو غفلة ولكنها تمرّ وترتبط بظرف، أما الأحمق (الأصيل) فيصّر إصرارًا على دوام الحالة فلا يتردد بتكرارها! فهو لا يتعلم ويفترض أنه مكتمل النور أصلًا.

يستسهلون ولايسترشدون

الحماقةُ أعيت من يداويها كما يقول الشاعر، والحمقَى يعيشون في نعيم وهم من تجد أمثالهم اليوم من رُكّاب وسائل التبعثر (التواصل) الاجتماعي على الشابكة الذين يميلون لتصديق ما يتفق مع أحلامهم وأوهامهم ومخاوفهم فترى المرئي (مقطع فديو) والمكتوب السخيف من جنس (منقول) بلا مصدر ولا مرجع يشكل حياتهم! ويأتون ليلقوا عليك محاضرة لا هي بالمعلومات فلا مرجعية، ولا هي رأي فللرأي أصوله المنطقية! ولا هو تحليل يأخذ بالأسباب.

يقفز الأحمقُ للنتائج بسهولة ليست بالطبع ضمن عقلنة أو تفكّر، ولا ضمن تدرج منطقي أوإبداعي في حل وتحليل المشكلة أو الموقف أوالموضوع. وهو مع ذلك يتعجب حين لا تلتفت له! وكأنك أنت الواهم الواقف على حدّ السيف لا تعلم شيئًا! ولا تعرف الى أي جانب تميل، فهو كل الميل قد أخذ بتلابيه الى الهاوية.

الحمقى نفرٌ من الناس اختاروا السهولة في مواجهة التعقيد الذي يكرهونه لأنه يستدعي المنهج العقلي، واختاروا ولربما تربّوا على البلاهة والبداهة البليدة، ومستنقع الغباء ومحيط الجهالة عن قصد بحيث لا يمكنهم أن يقرأوا بتاتًا! فالقراءة نموذج (موضة قديمة) ولا يسترشدون بالثُقاة أوالمراجع أوالعلماء أو الحكماء أو أصحاب الاختصاص. وبالطبع الى ذلك لا يشغلون الآلة الربانيّة المركّبة بأدمغتهم مادامت المواقع الالكترونية التركيبية على الشابكة (internet) وفضائيات التهييج والتضليل والتحشيد والتجنيد تقتنص فيهم الرغبات والأحلام السعيدة والمبهجة لتحولها الى واقع معاش ولو في معازلهم (فقاعاتهم) النفسية فقط!

الفضائحيات والحمقى

فمن أنت لتتصدى لهم والفضائية الفضائحية (الفضائحيات) الردحيّة الفلانية وغيرها تطبّل وتزمّر ليل نهار بما يظنونه حقيقة، وحيث يرغبون تمامًا. وهم الى ذلك لا يفحصون ولا يدققون ولا يأبهون بمطابقة الحقيقة أو ما يرونها حقيقة مع الواقع أو مع المستجدات من الأمور فما استقر في أذهانهم الضعيفة الواهية البراقة لا يتحرك ولو "بالطبل البلدي" فهو ثابت كثبات الجبال الرواسخ ونابض بالحياة.

لبعض الحمقى أو المغفلين أو السفهاء والجهلة لديك معزّة خاصة أو قُرب من أيام الحارة أوالدراسة أو العمل فهم الى حُمقهم لطفاء أومقربين فماذا عليك أن تفعل؟ ومنهم زميلي أو زميلك الأحمق العزيز!

كانت نصيحة العرب الدائمة تجاه الأحمق والمفغل هي باجتنابهم بكل مكان خاصة بالمجالس وحيث يتكلم العلماء أو المثقفين والمفكرين والكُتّاب أو حتى في المجالس العامة؟

لبعض الحمقى معزّة كما ذكرنا ارتبطت بزمن والتصاق مفروض وقرب لا فكاك منه فكيف إن كان زميلك الدائم بالعمل أو جارك أو صديق دراستك أو صاحبك في الحارة أو غير ذلك مما يصبح الفكاك منه والهروب شبه مستحيل؟!

سِراطيات الحل

يقولون أن هناك سراطيات (استراتيجيات) كثيرة بالتعامل مع الحمقى مثل الابتعاد أو تقليل الاحتكاك بهم، أو صنع حالة نفسية تبعدهم عنك، أو مقاومتهم ومن خلال شهود..الخ ولكل حالة ربما تكون استراتيجيتها المختلفة.

لكني مع أمثال هؤلاء جربت من الطرق الكثير والتي منها تنقلت مع بعضهم ضمن المراحل التالية للحل: الغضب، القسوة معهم، محاولة الابتعاد، الفهم

للشخصية، محاولة الإصلاح ما أدت الى نجاحات جزئية ثم نكوص للحالة، رغبة يائسة بالتغيير، التنائي النفسي، وصولًا الى الحزن العميم. فهل تراني نجحت أم كنت الفاشل الكبير؟! ومازال السؤال مفتوحًا!

لماذا لاتغير الحقائق عقولنا؟

في النقاشات السياسية منها وحتى الاجتماعية كثيرًا ما يفترض الشخص أنه على حق، ويمتلك ناصية الصواب فيحاول أن يورد الحجج والدلائل المنطقية إزاء الطرف الآخر متوقعًا أنه بذلك يقنعه، أوربما لغرض أن يفحمه أو يفوز عليه، وبالحقيقة أن الطبيعة الدفاعية للانسان عما يعتقده-حتى لو اعتقد ببطلانه- قد تكبح لديه الاقتناع بما تقوله، ولربما تدخل مفاهيم الرأي المسبق والعقل المصبوب المنضبط لقوالب حادة (كهف فكري انعزالي لأصحاب الأيديولوجيات المطلقة) تعزله عن أي تأثير في جميع الأحوال. هو يريد الحفاظ على ما اكتسبه من قناعات حتى لو كانت غير حقيقية، او مجرد أنها انفعالية عاطفية تساوقية، لذا فإن الانتماء للجماعة ذات الفكرة المتفق عليها يبدو أكثر راحة للناس عامة.

إذا رغبت بتغيير أفكار أو آراء أو انطباعات أو عادات الآخرين فإن العلماء ينصحون ب3 خيارات قد تبدو سهلة، ولكنها مما اطلعنا تحتاج لإيمان وإصرار وجهد مضني، إذ يمكنك إحداث التأثير والتغيير بالقناعات إذ صادقت الشخص الآخر أولًا فأنت بذلك تصنع حوله بيئة جديدة من خلالها يصبح مفهوم الاقتراب والعواطف والمحبة أساسًا قد يؤدي للتغير.

والنقطة الثانية هي أن تكون لطيفًا حتى عندما يخالفك الآخر (يبدو أن مخاطبة العواطف في كثير من الاحيان يكون أجدى) فلا تجادل لغرض الفوز أو الافحام وقهر الآخر فهو سيدافع عن مظهره أمام نفسه، وامام الآخرين ولا شك بشكل عام إن تخلى عن رأيه سيظن أنه يخسر الكثير من موقعه او مكانته بالجماعة أو بالحد الأدنى أمام ذاته.

وبالنقطة الثالثة وكما يقول العلماء إذا أردت أن تُميت فكرة فلا تذكرها بمعنى أن لا تنشغل كثيرًا بدحضها وإنما لك أن تنشغل بالفكرة الجديدة وعرضك لها، وهنا يأتي دور التكرار بالعرض فلا تكل من تكرار العرض للفكرة التي تريدها وإماتة الحديث عن الأفكار السيئة.

إن الانسان كائن اجتماعي وقد يفضل منطقة الراحة الاجتماعية حيث يحس بالانتماء والقبول والتساوق مع الجماعة فلا يمكنك إخراجه من المنطقة الى منطقة التعلم بسهولة مطلقًا الا باللطف والمحبة والصداقة والإتاحة له للتعبير عن ذاته والتكرار الابداعي اللطيف.

العقل الثائر والزهور

تضج الحياة بالكثير من الأحداث، وبسلسلة من المواقف والمشاهد التي فيها من المسرّات، والمفرحات الى جهة. ومن المآسي والكوارث أوالمحزنات والمحبطات ما يجعل الحياة على حقيقة فهمها مسارًا متقلبًا لا يكاد يستقيم على درجة واحدة من الثبات أو الصعود أو الهبوط، اوالشعور بالراحة والسكون والرضا.

في الحياة مواقف نفرح فيها، وندعو المولى عز وجل لاستمرارها، ومواقف نتمنى ألا تحصل لنا، وندعو الله أن يصبّرنا عليها ويقصّر أمدها، ولكنها تحصل فنحزن أو نخاف او نكتئب أوننتكس، أونشعر بالفقدان أوالخذلان وربما نيأس.

يقول المولى عز وجل: "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين [البقرة:155]"

الحياة ليست مسارًا معبدًا بالزهور، وإنما أنا بعقلي وروحي ونفسي أستطيع أن أقطف الزهور مما أراه أوأتخيله، وأعمل لتحقيقه كهدف بثبات وعزيمة وإيمان.

وفي كل ذلك وعي لأن حياة الانسان قد تتأرجح في صعود وهبوط ضمن منحنى الجرس، وما بين التأقلم والتقبل وقطف الأزهار مراحل وزمن وعمل مثابر.

كلما كان العقل قادرًا على الحفاظ على اتزانه فلا يتطرف أو ينجرف أولا يتهاون أو ينحرف كلما كانت الحياة قابلة للفهم والعيش.

يتأتى الفهم والاتزان والتقبل وخوض الصراع وجهاد الذات من

- المرجعية الفكرية الصلبة
- بالإيمان بالله سبحانه وتعالى،
- والهدف الذي أعيش من اجله،
- وعبرامتلاك منهج التفكير العقلي الابداعي
- والمنهج التحققي النقدي من جهة،
- وعبر التعلم من الصِغر حتى أعتاب القبر،
- ومن خلال فهم المشاعر، والتوجهات
- وعدم السماح بطغيانها فلا تتحول لهزات أو نزوات او مثيرات حسية هي جلّ ما يفكر به المرء.

الهوى الانساني هو أحد أكبر أسباب الترنح بالحياة، فمن كان دينه (أو إلهه) هواه، هوى وسقط.

ومَن كانت رغباته وشهواته أو غرائزه مركِبَهُ السهل نحو المتعة (بغض النظر عن حلتها اوحرمتها) تمتع قليلًا، وندم كثيرًا.

ومن اعتبر نزق ذاته بلا حدّ فخرج من رباط النفس اللوامة الى مربض تلك الامارة بالسوء فقط، فقد حصانته وسار في درب زَلِق، وقد يكون شائك ونتيجته الخذلان والخسران في دار أو في الدارين.

العقل الثائر المقاوم المكافح مطلوب حيث مشاق الحياة وتحدياتها تحتاج لإرادة مقاومة وجهاد وفعل مثابر (بالذات، وخارجها)، وتحتاج العقل

الهاديء الرزين حيث يمكنه النظر والتفكّر والتأمل والصلاة، والتعامل مع المواقف المطلوبة في مساحتها.

وفي كليهما إرادة الاتزان والتأقلم أو تقديم أحدهما على الأخرى ارتباطًا بغاية رضا الخالق سبحانه وتعالى، وخدمة الوطن-وخدمة فلسطين حتى تحريرها، وفداء شعبها غايتنا نحن في فلسطين أولًا- وبوعي الامة الحضاري العربي الاسلامي المسيحي المشرقي بكل مكوناتها (العربية والكردية والامازيغية)، وراحة الضمير والتزامًا بالقيم والاخلاق والمباديء الحاكمة.

الحياة رحلة قصيرة. والعمر محطة ابتلاء وعمل. والسعيد من سَعُد، وأسعد غيره.

"وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ"-[سورة هود: 108]

فإن لم يكن لك بالحياة وفيها أهدافًا يومية وأسبوعية وشهرية وسنوية، عوضًا عن الأهداف المركزية الكبرى، التي تعطي الحياة معناها الجميل، وتعطيك جمالها ولذتها فأنت تتحول لانسان عابث بلا طموح أوهدف، وتتحول -علمت أم لم تدري- الى صفحة منتهكة يمكن لأي صاحب فكرة أوهدف أن ينصب خيمته، فيها ويغني أو يصرخ أو يعبث.

الحياة منبع التجارب ومكان التعلم ومساحة ربط الصلات مع الخمس الأساسية (مع الخالق سبحانه وتعالى اولًا، ومع ذاتك حيث العقل والنفس والجسد والضمير) ومن هنا وقع فهم كيفية تهدئة العقل الغاضب أو المهتاج والتعامل معه بسياق الاتزان الرباني والاستخلاف للإعمار.

أخوته هم قاتلوه!

لا تسل عن الحالة النفسية التي يعانيها الفلسطيني المكروب ما بين غمّ وآلام، وقلة فهم من بعض الأقارب وكثرة من الأباعد! وما بين مصائب تحيط به من كل الجنبات سواء في وضعه الذاتي أوفي محيطه وانعكاسات ذلك في ذاكرته ونفسه وروحه.

لا تسل فقط عن قلة الأكل والشرب، فالأصدقاء راحوا وكل شيء ارتبط بالقلة!

هل حقق الفلسطينيون معجزة الصبر بعد الفقد العظيم، أم هم الى ذلك مضطرون!

لا تسل فقط عن التهجير المتكرر أو عن قتل الأحباب أمام عينيك، ولا تسل عن انعدام الامن في شمال وجنوب فلسطين، وعن انعدام الامكانيات الى حد الركض اليومي في محاولة بائسة للحصول على أدنى الاحتياجات التي تتمنع أن تظهر لك أو لطفلك بعيونه التي تحجرت بها الدموع!

لقد تحولت الاحتياجات اليومية في مسار أي حياة عادية لدى الفلسطيني الغزّي الى مجرد أحلام تبرز من بين أكوام الذكريات المستقرة والأمل المفقود!

كنت أفكر بهذا الشكل وأنا أركب حافلة الأجرة (سيارة الفورد ذات الركاب السبعة) وبصحبة الاخ د.المتوكل طه ذاهبان لفعالية ثقافية في مدينة أريحا،

وأيضًا حول كتاب للاخ محمد قاروط، بتوقيع هيئة التدريب العسكري برئاسة الاخ اللواء محمود هارون.

ما بين الحزن العميم والقلق الطميم، وإشارت التنبيه المخّية، ومجريات لا يستطيع أحد خارج المأساة المستفحلة أن يدركها تتفاعل في النفس المتفتتة، والمشتتة الاتجاهات والقرارات!

إنها نفس حرّة ومقيدة في آن، وهي ممزقة بين الواجب والممكن، وما بين الضرورة والاستطاعة وما بين القائم والمأمول، والكثير الكثير من المتناقضات التي تلتقطها عيناك على جوانب الطريق القصير- الطويل بين رام الله وأريحا الزاخر بالمستخربات (المستوطنات) التي أكلت من الضفة الفلسطينية معنى البهاء والنور، وحققت لدى الفلسطيني المقاوم بالصمود فوق أرضه تزعزع البقاء في ظل عبثية المشهد الفلسطيني البائس والعربي العاجز!

ما بين بكاء الأعين وخلجات القلب وتقطع الأنفاس، وما بين دمار النفس التي لم يعد فيها ما يمكن تضميده تتواصل في قلبك ونفسك التداعيات كسيلٍ من الأحجار القاسية!

لا يجد العقل بين غيوم السواد غير الممطرة الا الوقوع في قعر اليأس أحيانًا، ثم تجد أنك وبموقعك أو فهمك لدورك تحاول أن تتراجع عن هذه السقطة، في هذه الهوة النفسية السحيقة فتنجح أحيانًا وتفشل في أحايين....الى كل ذلك تذكر أنك إنسان ولست جلمود.

لك أن تقول ذلك، أي يمكنك أن تحسّ بالآخرين وتقول وتتفكر وتتنفس بنَفَس الثابتين! ثم تكتب وأنت على كرسي أنيق ومكتب وثير!... بارك الله بك.

ولكن ماذا عليه أن يقول صديقي في غزة الذي زاملته بالجامعة سنين طويلة وهو الآن بين السماء والطارق! وكل عائلته المتكومة من الجوع والمنكمشة من البرد والخائفة من قصف صهيوني لا يُفهم هدفه الا عشق الموت بين الخيام! أو ذاك الذي شاركني التدريب عندما كان يتحرك ما بين الضفة وغزة، أو أخي الذي لا أعرفه وهو يعاني جسديًا ونفسيا وعقليا!؟ إنها لمأساة لا يتحملها عقل فكيف تتحملها النفس البشرية؟

إننا شعب جبار وصامد ومرابط وذو بأس شديد؟

تقنيًا المقصود بشعب الرباط والجهاد كل بلاد الشام أو كل أمة المسلمين بتعاضدها وجهادها بكل الأشكال، وهم أي الأباعد خارج فلسطين ألقوا بالمهمة علينا نحن فقط!

إذهبوا أنتم لمصيركم المحتوم وفق قاعدة أنهم في أماكنهم قاعدون! ومن وراء جوالاتهم هم مناضلون! بل ومنتصرون!؟

هل نحن نسلّي أنفسنا -خاصة بالبعيد عن الميدان- بهذه الأفكار لنثبت للعالم ولأنفسنا أننا أبطال؟ أم نحن بالحقيقة ناس عاديين، فلسنا أبطال تاريخيين، ولسنا أساطير، ولسنا أبطال الرسوم المتحركة؟ أو مثل تلك الأكاذيب والتشويشات الذهنية حيث يطير البطل (الأبيض) لينقد طفلة بين الركام أو قطة غرقت، أو بقرة زلقت رجلها بالطين! أو ينقض على ألف مقاتل مما يتوج شرائط (أفلام) هوليود!

هل اخوتنا هم قاتلونا؟ كما يقتلنا المحتل أم نحن متشائمون أو في غيّنا سادرون!؟

تصفّق الجماهير المهيّجة والعاطفية لدرجة التفاهة، وهي بالضرورة غير العاقلة لغرائزها، ولما تبتغيه أو لما تحلم به أو تفترضه، كما تصفق لمشاهد

الشرائط (الأفلام) مما وصفنا، وهي الى ذلك تصفق لهبلها وقلة حيلتها من جهة، ولاستنكافها عن فعل أي شيء من جهة أخرى!

وكأن دور السوقة أو (الامّعات) من الجماهير فقط قد استقر بين مداعبة الهاتف النقال، وأكل الطعام الدسم وغرفة النوم، وأحلام وردية ياسيدي!

فالأجانب من الشبيبة في أوربا وأمريكا لا يتوقفون عن النضال الفعلي من أجل فلسطين أفلا تقتدي بهم وتخرج من شرنقتك وغباءك وكسلك ولذيذ أحلامك!

زهقنا ومللنا النفخ المبرمج الذي يرسم ذاته متعملقة فوق ظهورنا، وعلى أشلا ء شعبنا في أكبر ملحمة إبادة جماعية بالتاريخ حين يتوقف الزمن ليتحول الى اللون الاحمر فقط! رغم كل قمرات (كاميرات) العالم التي ترصد كل بقعة دم أو صرخة طفل أو نداء شاب يعلم ألا مجيبّ.

كيف لك ألا تغضب! وكيف لك ألا تنقهر من مأساة التخلي "الأخوي"، ومن فكرة التعظيم أوالتفخيم الفارغة التي يحيطك بها الأباعد من اخوانك الذين يأملون بك أن تموت اليوم قبل الغد من أجل ماذا ؟

من أجل فكرة فارغة عشعشت في أذهانهم أن واجبك هو الموت!؟

وما كان الموت المجاني لمن يمتلك يديه فقط، إلا خروجًا عن فكرة العمل والعطاء والاستخلاف التي منحها الله للبشر. يعملون ويتواصلون ويبنون، وليس يموتون بلا أي ثمن ولا أي داعي مما يحاول الآخرون أن يسبغوه عليك ليس إكرامًا وحبًّا لك، وإنما تخففًا أو تنازلًا عن مسؤولياتهم هم.

لا لسنا ممن يُحب الموت كما يحاولون أن يلصقوا بنا ذلك، بل نحن نحبُ الحياة.

نعم، نحن شعبٌ يحب الحياة لأن العيش واجب رباني وواجب الخلق.

وفلسطين أرضنا ولا يتم إعمارها الا بأيدينا نحن.

وإن استدعى الأمر أن تضحى فالتضحية لا تكون بالناس، بل للناس، بقادة وطلائع الناس من الفدائيين، أي من أجل الناس.

ويا ويلي حين ينقسم الشعب بين ما يبتغيه الاعلام الفتنوي المضلّل، والفصيل الممانع فيتخلى عن ثُلثي شعبة (الأنروا) ويبقي كل عوامل البقاء لذاته، على رقاب الناس التي تتساقط يوميًا في فجوة بلا قرار!

بين متناقضات الفهم وتباريح النفس، وبين أكاذيب الفصائل واحتكار الذات الالهية أو احتكار الأسلوب النضالي المفخّم في ظل انعدام القوة المادية الفعلية حاليًا أمام الوحش الامريكي-الصهيوني الفتاك أنت تضيع! فلا تستطيع أن تفهم ولا تستطيع الخروج من شرنقة أفكارك الداهمة بلا توقف.

وبالعودة لمجتمعك المترع بحب الكلاب وارتياد المقاهي ما حول فلسطين، وهم الى ذلك يتكرشون يوميًا مفترضين أن واجبهم الأعظم الوحيد انتقاد أي حركة تقوم بها أنت، هنا في فلسطين!

يمنع عليك الشكوى ويمنع عليك التأوه، فأنت بطلٌ وأنت عظيم! وأنت مناضل وأنت شهيد، فاخرس ولا تتكلم إلا بما نريده!

يقولون لك بأفواههم وبعيونهم وبعبثهم على "فيسبوكهم" أنت مرابط مشتبك دائم بلا توقف؟! ولا راحة واجبة لك، كما يُمنع عليك الصراخ أو حتى قول (أخ)، والى ذلك تكمم أفواه العقلاء لأنهم بالقطع إما خارج الملّة أو مرتبطين بالعدو!

يمنعُ القلق وتمنع الشكوى، أما أنات الحيارى والثكالى فمرفوضة من أساسها!

وكأن واجبك الأثير هو أن تموت، وواجبهم هم أن يأكلوا المناسف يوميًا، فلا يتخلون عن لحم الطليان (جمع طلي صغير الخرفان) وعن لحم البقر المشدود في شطيرة (ماكدونالد) أو غيرها، مما لا يُقاطع الا على "وسائل التواصل الاجتماعي" افتراضيًا! وهل يقاطع الانسان عظيم الاستهلاك عظيم البطن بطنه! حاشا لله.

في السيارة (الفورد) التي نقلتنا من رام الله الى أريحا تتعاظم في ذهنك الأفكار، فمنها من يقبض على رقبتك حتى تكاد تختنق فيها، ومما تراهُ من مشاهد الحواجز الاحتلالية، والمستعمرات (المستوطنات) ومن انتشار نموذج الجندي الإسرائيلي الممسك بسلاحه ويعبس أو يبتسم فكلها مظاهر استفزازية، لا تقل استفزازًا عمن يشيحون بنظرهم بحقيقة الأمر عن دعم إخوانهم في غزة بشيء من المال! يقولون: هذا جيبي وهو لي فقط، ولمتعتي!

هم يستعيضون عن حقيقة الدعم لإخوانهم بتناقل الغث قبل السمين، وتمريره ومشاركته بشجاعة المقاوم "الفيسبوكي" أو "التكتكي" العظيم، وبشتم السلطة وبتعهير كل الفلسطينيين ممن يختلفون معهم! ولمن يحبونهم لا يملكون الا الدعاء لهم بالموت السريع، ليتفاخروا هم عنهم أنهم فلسطينيون؟

المسافة بين رام الله وأريحا بأسوأ الاحوال تأخذ نصف ساعة لكنها بحالتنا الموصوفة أخذت ما يقارب الساعتين من طرق التفافية وعرة بين القرى والشوارع المدمرة، وما بين الحواجز والازدحام وما بين يد الجندي الصهيوني قد يضعها في منخره أو أي مكان آخر، ولكنها قلما تشير للمركبة بالسير الا حين يزهق من وقفته فقط!

الروحُ تلهث وراء أمل، أي أمل ولربما تكون والنفس صنوان أو عدوتان ومتشابكتان مع العقل الذي يقرأ ويرى ويعي ويجد أن أخوته هم قاتلوه، إضافة الى المحتل والظالم الأبدي! هل وصلنا أريحا أم لم نصل بعد؟

ياسر وصهيل الفرح المرّ!

الجماهيرُ الغفيرة التي تواجدت في مجمع رام الله الترويحي ملأت الساحة داخل المجمع وفي الشارع المرتبط به، كما اعتلى الناس المرتفعات المطلّة على المكان أيضًا سواء من فوق التلال الترابية أوالبنايات وشرفات البيوت.

الكلّ كان ينتظر مترقبًا دفعة الأسرى المحررين

انها الدفعة ضمن (اتفاق الدوحة) وعددهم 200 وإن كان جزء منهم قد أبعِد، وتم تبديل جزء آخر صبيحة يوم الفرح المرّ، فازداد أهل الأسرى المستبدلة أسماؤهم غمًا على غم. فقتل الإسرائيلي الفرحة ومزقها أشتاتًا بين فرح مطلوب وحزن موجود وتناقض لا يمكنك أن ترى مثله الا في حالة فلسطين الفريدة بالعالم!

ساعاتٌ ثقيلة مرّت منذ طلوع فجر صباح يوم 2025/1/25م حتى وصول الأسرى بعد الظهيرة في ثلاث حافلات كانت حذِرة الوطء على أرض فلسطين المقدسة، من رام الله بالمسافة القصيرة عادة، والطويلة الثقيلة بهذه المناسبة بين بلدة بيتونيا بمحافظة رام الله والبيرة وصولًا لأرض مجمع رام الله الترويحي (منطقة عين الكرزم، قرب حرش الردّانا) وبالاتصال ضمن منطقة عين مصباح في المدينة الصاخبة.

المسافةُ القصيرة بين بلدة بيتونيا وصولًا الى منطقة استقبال الأسرى المحررين استغرقت أكثر من ساعتين، وهي بالعادة لا تأخذ الا عدة دقائق! لسبب الاحتفاء الشعبي الذي واكب الحافلات الثمينة بمحتواها البشري من

خروجها البطيء الخطَى حتى الوصول للمساحات التي عجّت بأهالي وأصدقاء وأحبة الأسرى العِظام.

كنتُ متواجدًا مع عائلتي الصغيرة.

وأخي وأختي وعائلاتهما، وأبناء أخي الشهيد عمّار، وعدد من الفروع أوالأحفاد كما الكثرة من أحباء وأصدقاء شقيقي الأسير المحرّر (اليوم) ياسر، وهو ذات الحال مع كافة الأسرى بحيث أن الزحام كان على أشدّه لم يترك لك حرية الحركة، أو النظر حتى من فوق رؤوس الناس.

أنا بالعادة لا أحب الازدحامات أصلًا، وأتجنبها حتى في المناسبات العمومية مثل الأفراح والأتراح والى ذلك فإني أتجنب وقوع سيارتي في مصفّ أو مكان قريب مزدحم فأضعها في مكان بعيد جدًا! وإن كنتُ أول الواصلين لعملي منذ السادسة صباحًا.

إلا أن هذا اليوم مختلفٌ.

إنه يوم الحرية، يوم الأبطال، يوم الشموخ هو يوم تحقق حلم طال واستطال واستفاض على جوانبه عبر السنين حُزنًا ثم كمدًا ارتبط مؤخرًا بحجم الشهداء الضحايا في فلسطين عامة، وفي غزة الأبية وشعبنا الفلسطيني فيها خاصة، والتي فقدنا فيها ما يقارب المائة ألف أو المائتين من أشرف وأنبل وأجمل خِلقَة صنعها الرب على هذه الأرض.

إنهم الفلسطينيون.

الفلسطينيون هم الذين كتبوا تاريخ المنطقة وتاريخ فلسطين منذ مليون عام، وأقاموا الحضارات الكبارية والناطوفية مرورًا بالعصر الحديدي (منذ 20 ألف عام) قبل أن تفترض الأساطيرالتوراتية فترة لا قيمة لها من التاريخ أنها

وجدت هنا. مع كثير رفض من كل ذرّة رمل لهذا التاريخ الخرافي والأسطوري فلم تصرّح أي قطعة من أرض فلسطين بوجود غير العرب الأصليين بكافة مسمياتهم هنا، وبكل أجزاء الجزيرة العربية التي نحن (بلاد الشام) نمثل فيها شمال الجزيرة.

جيئةً وذهابًا بالمساحات الضيقة وبين الأجساد المتراصة ازدحامًا كانت الأفكار تترَى، فهي زادٌ لمن لازاد له.

ياسر في الكويت وياسر في بغداد وياسر في جامعة النجاح وياسر شاهرًا علم فلسطين في وجه الظلم والمحتل، وياسر وأمه، وهو وزوجه، وياسر أسيرًا ل23 عامًا حتى هذه اللحظة المنتظر بها كسر المؤبدات الثلاثة والأعوام الاربعين والشهور الستة من محكومية الظلم الصهيوني واللاقانون المُسلط على رقاب الأمة من نحر فلسطين.

كانت تدهمني شتى الأفكار الأخرى

وأنا في حالة الانتظار، أتنقل بين الحشود المتزاحمة، تارة داخل المجمع الترويحي وتارة في الشارع شارع جاك شيراك، وصولًا الى شارع حيفا المتقاطع وشارع عين سمعان.

وفي تارة أخرى في المنطقة الترابية القريبة، لا أدري كيف سيكون شعوري أو كيف سأقابل مَن كان بعمر الورد ليعود رجلًا شديد العود! نعم لكنه مع خصلات الشيب والصلع (كما أصابني قبله) قد يعطي الانطباع بخبوّ الحياة فيه، أو كُمون الأمل أولربما فقدان الحلم!

العشراتُ من الصحفيين ومثلهم من قمرات (كاميرات) التصوير تهمّ بعمل المقابلات مع الأهالي، وما كُنتُ منهم الا الرافض، فلم أرى بالحدث أن أكون فيه البارز، والأبطال الحقيقيون قادمون.

بعد تعب شديد وانتظار مفزع للنفس، وأفكار تروح وتجيء وتناقل لأخبار بين الناس بوصول الحافلات الى الشارع الفلاني من مدينة رام الله، ثم الذي يليه محفوفًا بالجماهيرالصاخبة يترقب الناس ساعة الوصول بشغف.

حلّ علينا الفجرُ من عتمة النفس متأخرًا

وكأنه كان يعبثُ بليل سخيّ مع صديق كريم أو زوج رحيم أو مستمعًا لصوت رخيم! فنسي موعد الإشراق حتى التقى بالأسرى الذين أبوا إلا أن يصحَبوا الفجرَ معهم فكانت الإطلالة المهيبة لفوج المحررين من عمالقة الصبر.

تنقلت بقدميّ بين الشوارع والمجمّع، وبنظري وأشتات روحي بين الحافلات الثلاثة ورأيت كل أم أو أخت أو أبن أو صديق حكيم، أو زوجة أوابنة تنظر حبيبها تصرخ وتهمّ، أو تبكي وتلمّ الحبيب الى صدرها، مقبّلة بين الضلوع والرؤوس والأيدي، فيما الآخرون فوق الأعناق أو بين الحشود يتّقون سيلَ القُبلات للأجساد الهزيلة التي تشبه الهياكل العظمية (مما أصابهم من تعذيب شديد حتى اللحظات الأخيرة لركوبهم الحافلات كما علمنا لاحقًا)!

لم أتعرف على شقيقي ياسر!

وبالأحرى لم أرهُ حين خرج من الحافلة أساسًا، ولربما كان ذلك رحمةً!

لأنني لو رأيته بعينيّ أنا لما عرفته للوهلة الاولى!

بل رأيته أولًا على قمرة (كاميرا) أحد الأصدقاء من الاعلاميين حين قال لي أرأيت أين ذهب ياسر؟

قلت له وأين هو، لم أرهُ أصلًا!

فأراني صورته بقمرته مرتديًا ثوب العظمة رغم الهزال الشديد (علمت منه لاحقًا أنه فقد من وزنه بالمحنة الأخيرة 50 كيلوغرام).

دخل ياسر دون أن أراهُ من بين الحشود الى القاعة الداخلية لمجمع رام الله الترويحي وعندما هممتُ بالدخول للقاعة الداخلية نصحني الجميع بعدم فعل ذلك لأن الازدحام فيها خانقٌ جدًا، وأشاروا للانتظار حين خروجه والأسرى المحررين من القاعة الى الساحة إما الى بيوتهم، أوالى سيارات الاسعاف باتجاه المستشفيات لفحصهم.

خرج ياسر مدفوعًا بسرعة التزاحم والحركة من القاعة الداخلية الى ساحة المجمع.

رأيته يضحك!

رأيته يبتسم برحابة، ومازالت ذات الابتسامة منذ 23 عامًا كما هي لم تتغير!

ابتسامة الحرية.

الحشود تتدافع وتدفعه الى الأمام...

فصرختُ بكلّ كياني: ياسر

فعرف صوتي رغم انكسار السنين، واختلاف النغمات فالتفتَ إليّ سريعًا من بين التدافع والتزاحم الشديد...

فازداد ضياء حين نظر بوجه السمح المِرحاب

ومال لي، قبّلته مثنى وثلاث ورباع، على عجل.

ومضى الى سيارة الإسعاف حيث صحبه عاهد ابنه البطل، وزوجته نغم الخياط المرابطة الصابرة وأخته زينب الى المستشفى الاستشاري في منطقة الريحان المجاورة لرام الله.

كانت ليلى زوجتي، وميساء وليان ابنتيّ قد سبقتاني الى المستشفى والتقين جميعًا به في غرفة الطواريء، حيت رتّب عاهد ابنه المغوار الفحوصات المختلفة، فتريثت للوصول الى هناك مفترضًا أن أجلب معي بعض المعجّنات السريعة والحلويات لأفاجأ حين الوصول اليه محتضنًا البطل المحرّر أنه تحت الاشراف الطبي لا يجوز أن يأكل لفترة معينة نتيجة سوء التغذية في المعتقل ولضرورات طبية أخرى والاكتفاء بالسوائل والعصائر.

المفأجاة اللاحقة أن الأسرى ولفترة طويلة جدًا من سوء التغذية مُنِعوا عن الفواكه فكان يشتهيها ما علمته لاحقًا، وكنت قد كدتُ أهمّ بشرائها فلم أفعل! لأنني وجدتها لا تليق بالمناسبة في فهمٍ قاصر عن متطلبات الأسير، أو الغائب أوالموجوع أو المريض سيان.

هناك فقط أي في قاعة الطواريء من المستشفى الاستشاري برام الله نظرتُ اليه ، وتأملته جيدًا: بناءٌ جسمي ضخم (هكذا كان) طويل مفرود الظهر(هكذا كان) قد استحال بهزاله الى عظام نافرة أكثر منها لحم يكسوعظمًا.

في غرفة الأشعة بالتحديد التقينا دقائق بين القبلات على اليدين والرأس والأحضان، وبضعة كلمات مثلت زمنًا طويلًا من عتبات لم أكن أقربها أبدًا، كي لا أحبط أو أصدم! أي عتبات الشوق ونزيفُ الروح الذي صاحبني وكل أحبائه وأصدقائه الكُثُر بما لا يسعنا من ألم وترقب، وحلم بدى مستحيلًا!

تحقق الحلم أخيرًا.

ياسر أبوبكر حُرًّا.

لم تقصّر محافظة رام الله والبيرة الاهتمام الرائع بالأسرى ومنهم الأسرى المحررين وكذلك نادي الاسير وهيئة شؤون الأسرى وكافة طواقم عمل السلطة الوطنية الفلسطينية المدنية والامنية فكانوا على مدار الساعة يتابعون الحدث، ومنه أن قامت المحافظة برئاسة الأخت ليلى غنام بحجز غرف في فنادق رام الله للمحررين من الأسرى ليبيتوا ليلتهم راحة بعد سنوات طوال كانوا يفترشون فيها الأرض متمنين رؤية سماء الحرية ونور الاشتياق وزهور فلسطين.

وفي نفس الوقت لأن رام الله وكل القرى والمدن مغلقة ومسوّرة ومحاصرة ب898 حاجز وبوابة حديدية (زاد عددها منذ المباغتة في 10/7) تفعّل ليلًا بشكل محكم أكثر من أوقات الضياء، وفي أحيان أخرى بلا أوقات محددة فأحالت حال الناس بالضفة الى جحيم، وفي غزة الى جحيم مقيم آخر.

لا ننسى الشكرَ كل الشكر-وهذا مقام شكر لا مقام اختلاف- لكل من ساهم بإخراج الأسرى من ارتهان يومهم وليلهم للسجان، ممن نُحبهم وإن خالفناهم بالرأي، شكرًا لكم كل الشكر.

شكرًا لهم، وندعو لهم وإن انتقدناهم بحق النقد وسنواصل.

نتمنى لهم فسيح الفكر لا ضيق الأفق، وبسط اليد لا قبضها، وسِعة الصدر لا التحجّر الفكراني (الأيديولوجي)، والاعتراف لا الانغلاق. ونتمنى لهم تفعيل معنى المحبة للمختلِف لا لفظه وتشويهه واتهامه وتكفيره أو تخوينه، كما نتمنى لهم رفع مشعل الوحدة والوطنية وبسط الوجوه إزاء الاخوة لا إدارة الظهر، والله المستعان.

في الفندق حيث انتقل ياسر بسيارة الاسعاف بعد الفحوصات أدخلته إدارة الفندق لغرفته المحجوزة، وتم إغلاق حالة الوصول اليه من الثالثة عصرًا

حتى السابعة مساء أين تم فتح قاعة الاستقبال في الطابق الأرضي من الفندق لنشهد فيها وجوه المحبين النيّرة يحفوّن بياسر رسميًا وشعبيًا، وحركيًا ومن الكوادر الوطنية كافة.

لم تعتد أمّه على فراقه طويلًا، وهي التي واظبت قبل أن يُقعدها المرض على زيارته بالمعتقل، وكما زوجته المعطاءة، وذلك كلما سنحت الفرصة مع معيقات السجان الكثيرة.

والدته اليوم لم ترى اللحظة التي انتظرتها طويلًا، فهي هناك في الأردن لم يطلها من رؤيته المباشرة إلا الاتصال المرئي، وحنفية الدموع التي انهمرت لرؤيته عن بُعد.

لم تستطع أخواته وأخوته الأشقاء خارج فلسطين أن يروه بالطبع وكذلك ابناؤهم والأحفاد، والأصدقاء بالخارج، ولم يستطِع شقيقة عمار الذي استشهد في مدينة جنين، بذات فترة اعتقال ياسر في نابلس عام 2002 أن يراهُ فهو أي عمّار اليوم جسدٌ مسجى تحت الثرى في مقبرة جنين، بينما دماغه الذي وجدوه بعد بضعة أيام وعرفوه من طاقيته قد دفن مع أبيه وعمّه في قرية رمانة من قرى محافظة جنين، أخت مدينة حيفا بلد والدنا محمود علي أبوبكر، وبلدنا.

كنت أفكر كيف أننا كأخوة نحتفظ بالأسماء الاسلامية والوطنية معًا ما يجعل من الاسلاميين والوطنيين (أو القوميين) قميصٌ واحدٌ بالحقيقة، وهو ما ارتدته الحركة التي انتمينا اليها من أجل فلسطين، وما مزّقه الا الحزبيون الاقصائيون المتفيقهون، ففينا كأبناء الفهيم المبدع محمود أبوبكر كل من: بكر وعلي وعمر، وفينا ياسر وعمار وسعد. غير الأخوات بذات الاتجاه. وما الشعب العربي الفلسطيني الا نسيج مسلم ومسيحي واحد ضمن حضارة جامعة لا تفرق ولا تُقصي.

قال تعالى (وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة 155-157)

"لن نفرح ولن نحتفل" هذا ما قاله شقيقي ياسر وكرّره، مضيفًا "وكيف لنا ذلك في ظل الأكرم منا جميعًا (أي الشهداء) الذين ارتقوا في سبيل الوطن في قطاع غزة وبالضفة رحمهم الله أجمعين، ورحمنا معهم".

هكذا قال معبرًا رافضًا كل مظاهر الاحتفال، أو الفرح المبالغ فيه، احترامًا وتقديرًا وحزنًا على من شاء أن يكرّر وصفهم (الأكرم منا جميعًا) في رؤية عميقة، وفهم يتخطى الزمن حينما تختلط المشاعر وتتقاتل بتناقضاتها في مساحة واحدة لا تعرف أيها تختار، فكان من المهتدين، وكان صهيل الفرح المرّ.

لقد اختار هو من المشاعر المتدافعة حق الآخرين على حقه، فكان في صهيل فرحه المرّ يستحضر الحزن العظيم، والتقدير والاحترام المطلوب لارتقاء الشهداء، والمواساة لنجاة الناجين من المقتلة أوالمَهلَكة في قطاع غزة المنكوب أساسًا، مقدمًا على الفرح الفائض حتى فرح أسير المؤبدات، وعلى فرجٍ وفرح قد بدا في كثير من الأحايين بعيدًا. و"الله غالب على أمره"، و (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل 59). فلسطين-2025/1/27م

الاعتراف وثقافة الاعتذار

داخل المجتمع وبين الأصدقاء والزملاء وفي الإطار المؤسسي والتنظيمي، صادفتنا العديد من الشخصيات التي تخاف أو ترفض أوتتمنع عن الاعتذار مهما كان نوع الخطأ، أو حجمه، أوتكراره، حتى في إطار النقد الذاتي المنصوص عليها في الأطر التنظيمية.

ورأينا البعض يُدفع دفعًا للاعتذار، وكأنه يدفع الى حتفه أو ذاهب الى معركة! هو فيها الخاسر!

أوكأنه يتخلى عن كرامته أو كبريائه المزيف!

ووجدنا الكثير من الأواصر والصِلات تنقطع بين الأشخاص لمجرد رفض الاتجاه الايجابي نحو الاعتراف بالآخرأو حقه علينا، وبالتالي رفض الاعتراف بالخطأ، أو الاعتذار.

نجد في النصوص الدينية (الاسلامية والمسيحية وغيرها) الكثير من الدعوات الهامة للاعتذار، وقول "آسف" بحقها، وطلب المغفرة وكذلك حول العفو والصفح، ولكن القيم المجتمعية السلبية السائدة تحد من امتلاك ثقافة الاعتراف بالآخر، وتحد من فهم امكانية تعدد الصواب والنقد والاعتذار.

إن لم تكن كلمة آسف بحق وصدق وإيمان ذات معنى ونابعة من القلب فيشعر بها الآخر، وإن لم تكن عن قصد ودافع داخلي وليس خارجي فسيراها (المجني عليه).

ونحن رغم الرشد الاسلامي بالدعوة لثقافة الاعتراف بالآخر والتنوع والتفهم للاختلاف، وتقديره، ومحبته والتواصل معه وعدم إحداث القطيعة. ورغم الدعوات التي تحفل بها الآيات الكريمة بالصفح والعفو، إضافة للاعتذار نجد أن القيم البدوية/الأعرابية الجاهلية ما بين التفاخر ورفض المذلة-باعتبار الاعتذار منها-،تتحكم بالشخصية فتأبى الاعتراف أوطلب المسامحة.

يقول الكاتب أسامة حمودة: "رغم أن القرآن مليء بمعاني المغفرة والاعتذار، غير أن الخريطة الدماغية عندنا تبدو مستعصية على التغيير، وغير قابلةٍ للعلاج، فنحن نختم القرآن باستمرار، ونحن أساتذة تراويح وحَج وعُمرة، لكنها قراءات عابرة، وعبادات لا توقظ عقلا، ولا تزكي نفسا، ولا ترفع خُلقا!!"

قام المؤلفان المشاركان "مارجوري إنجال وسوزان مكارثي" بتقسيم الخطوات الستة (والنصف) للاعتذارات العظيمة. كما جاءت بكتابهما المعنون: آسف، آسف، آسف: قضية الاعتذارات الجيدة، كالتالي:

1. تقول آسف. لا يعني ذلك أنك "نادم"، وليس أنك "مدمر". تقول آسف."

2. قل ما الذي تعتذر عنه. كن دقيقا.

3. أظهر أنك تفهم سبب سوء الأمر، وامتلك زمام الأمور، وأظهر أنك تفهم سبب تسببك في الأذى.

4. لا تختلق الأعذار.

5. قل لماذا لن يحدث ذلك مرة أخرى. ما هي الخطوات التي تتخذها؟

6. إذا كان الأمر مناسبًا، قم بإجراء التعويضات: "سأدفع ثمن التنظيف الجاف. فقط أرسل الفاتورة إليّ. سأبذل قصارى جهدي لإصلاح ما فعلته."

وقالت إنجال: "هذه الخطوات الست ذات صلة بالبالغين، والأطفال، والشركات، والمؤسسات (والتنظيمات السياسية...)، والحكومات".

"والسادسة والنصف هي "استمع". "الناس يريدون أن يسمعوا صوتهم، فلا تقفز فوقهم. دع الشخص الذي آذيته يقول كلمته."

تقول كتب التنمية البشرية أن الاعتذار هو بيان الندم الذي تقدمه عندما تفعل شيئًا خاطئًا. قد يكون من الصعب الاعتذار، لكن الاعتراف ثم الاعتذار يمكن أن يفعل الكثير للحفاظ على العلاقات وإصلاحها.

اتبع هذه الخطوات عند تقديم الاعتذار:

عبّر عن الندم.

اعترف بالمسؤولية.

كفّر، وأجرِ التعديلات اللازمة.

وعد بأن ذلك لن يحدث مرة أخرى.

لا تقدم الأعذار(التبريرات) عندما تعتذر.

بخلاف ذلك، ستبدو كما لو كنت تحاول تحويل اللوم بعيدًا عن نفسك وإلقاء اللوم على شخص أو شيء آخر.

وإذا كنت مديرًا أو قائدًا للفريق (أو في إطار تنظيمي أو سياسي أو حتى رياضي...)، فإن رفضك للاعتذار سيؤثر أيضًا سلبًا على فريقك، جماعتك،

ويعد مثالًا سيئًا. يمكن أن يؤدي العداء والتوتر والألم الناتج إلى خلق بيئة عمل أو تواصل سامة.

يجب أن تكون كلماتك صادقة وحقيقية. كن صادقًا مع نفسك ومع الشخص الآخر بشأن سبب رغبتك في الاعتذار. لا تقدم أبدًا اعتذارًا عندما تكون لديك دوافع خفية، أوإذا كنت ترى ذلك وسيلة لتحقيق غاية.

أنظر للهدي المحمدي العظيم في قوله **"**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**"**، وهذا بالعلاقة مع الخالق فما بالك بالعلاقة مع المخلوق**!**

أنظر للاعتذار باعتباره فطرة الأنبياء والصالحين بقوله تعالى: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الأعراف: 23).

علينا أن نتعلم كيف نعتذر وندرب نفسنا على الاعتراف بالخطأ دون الشعور بالمهانة بل واعتبار ذلك شجاعة أخلاقية وليست ضعفًا، بل وتعبير عن المحبة وحسن التواصل.

كيف كتبتُ غزةّ؟

في الحدث المفصلي للقرن الواحد والعشرين وهو كارثة القرن الممثلة بالمذبحة اليومية والإبادة الصهيوأمريكية المتواصلة في غزة وفلسطين داهمنا من الشدائد والأهوال ثلاثة!

أولها كان هول اليوم الأول يوم المباغتة والمفاجأة الذي ما كان للتالي من حيث الحجم والشدة والشراسة إلا بسببه كما يقول الإسرائيليون، وهو أذ كان طوفانًا ضد المحتل الصهيوني أفقده اتزانه كما أفقده وعيه فإن حجم المتفجرات التي أطلقها غلاة اليمين في قلوب وعقول قادة الكيان كان مهولًا حتى أنه قورن بما حصل بكثير من الأحداث الإرهابية والإجرامية في الحرب الأوربية (المسماة العالمية) الثانية ومنها في مدينة دريسدن الالمانية ونجازاكي اليابانية.

الهولُ الأول

إن هولَ اليوم الأول وما أوقعه من مفاجأة ومباغتة مهّد لليوم الثاني حيث الصدمة أخرجت اسوأ مكنونات النفس البشرية التي لم تتّعظ من المحرقة وأهوالها، فعاش الفلسطينيون لشهور تسعة -حتى الآن- أسوا أيامهم منذ النكبة عام 1948م.

لقد كان هول المفاجأة بداية

إلا أن هول الرد الصاعق كان مفاجأة أخرى، وفزعًا وشدّة أكبر أم أصغر لك أن تحدد ذلك من أي زاوية تنظر.

الهول باللغة العربية المخيف المفزع، وهو الأمر الشديد، وفي لسان العرب الهَوْلُ: المخافة من الأَمر لا يَدْرى ما يَهْجِم عليه. وما يهجم عليه تصح هنا بالصيغ المادية والنفسية والعقلية

ما بين الهولين كان هول تدفق الأفكار والمشاعر والصِلة بينهما وتغليب أحدهما على الآخر .

كانت تتراقص الكلمات بين الأعين مع دقات القلوب والأنفاس المتقطعة تريد أن تخرج!

وخلجات الأنفاس قد تدفعها للخارج فيأبى العقل.(ضيق صدر وحشرجات)

أو قد يكتمها مرّكب الحزن ثم يعيد انتاجها بشكل أصعب.(بكاء وحرقة وتنهيد)

تحاول التعابيرُ أن تخرج بصيغة كلمات، فما للعقل إلا دور الكابح..(انتظر ليس وقته)

إن العقل هو الكابح في آلية صراعٍ لم ينتهي بين النفس والانفعال والعواطف وبينه.

فكيف للمرء أن يتوازن في إطار التهييج الإعلامي المخطط؟

وكيف للعقل أن يهدأ ليُحسن التفكير والتخطيط والإخراج في إطار التجييش الفضائي المقصود؟

وكيف للعقل أن يكبح جماحَ غضبه فيعيد انتقاء الكلمات! لتتناسب وتتوازن ما بين الأضداد!

هل لها أن تتناسب فلا تكون الكلمات جارحة للمشاعر، والشعب المنتكس!

وهل يمكنك بين كل ذلك أن تصارع على جبهة القلوب الحزينة؟ والعواطف الباسقة؟

إن الأنفس المحترقة قد تكون وجدت ملجأها في بندقية تقاتل عنها.

أو فضائية ترفع السيف بدلًا منها!؟ وهي بالوحل غارقة!

أو في كمات نارية لا تغني ولا تسمن من جوع ولكنها تعبّر عنها؟

داهم العالم هولُ اليوم الأول فكان الصراخ هو الجامع بين قابل ومهلّل لا يدرك العواقب، وبين رافضٍ مقدّر للمآلات الشنيعة .

كان الأمر في لحظته الأولى الداهمة بين مؤيد معلل أو مبرر، وبين مصدوم أو رافض أومهزوم، فمما لا شك فيه أن الصورة النمطية للكيان قد تحطّمت وكأنه نمر من ورق، وبدا العُري جليًا ولو لسويعات كانت في عُرف النكبة كتعويض مؤقت عن دهر حزن لم يتوقف.

هولُ اليوم الثاني

لم يكد الهول الأول تهدأ ثائرته حتى تم إطلاق النار عليه بهول اليوم الثاني الذي استمر حتى الآن 9 شهور عجاف! تتوسع. إنه هو الرد الذي لربما لم يكن متوقعًا؟

أكانت هي عملية كبيرة ولكنها ليست ضخمة!؟ بحيث تتجاوز الحد؟!

أكانت عملية محدودة ولغرض محدد؟

أم كانت فعلا لتحرير فلسطين والأقصى ودارت الدوائر؟

أكانت خدعة المحور أو كانت وقائية له؟ !

أكان الفاعلون على تنسيق وثيق أم أم أم ....الخ، من الأسئلة الكثيرة التي في أشد التحليلات سوءًا لم تكن تتوقع الهجوم الصهيوني المكلّل بعار القتل المبرمج والإبادة والتهجير وقصف الاطفال تحديدًا كما تدمير كل مظاهر الحياة؟

هول بهول وصدمة بصدمة أوقع وأشد.

وإن كانت الصدمة الثانية وهولها كارثيًا لا يقارن البتة باليوم الأول فإن عقل النازية أو الفاشية الكامن قد أعلن عن نفسه بكل وضوح بعد أن كان يحاول أن يمرّ في أجسادنا، وبين دروب القوانين الأممية ضمن أغطية عمّت على عيون الناس؟

هول اليوم الثاني كان في حده الأقصى رعبًا يوميًا لم يشاهد مثله أحد على شاشات الفضائيات! لقد كان (مجزرة صبرا وشاتيلا) تتكرر كل يوم !

لكل طفل بقي على قيد الحياة، أو صبي أو شيخ او امراة في فلسطين وخاصة في غزة أصبح له مجزرته الخاصة!؟

صبرا وشاتيلا في أيامها الثلاثة أذهلت العالم فما القول بمثلها كل يوم أو بضع يوم!

ميزان الأهوال الثلاثة

في الحقيقة كانت الأهوال ثلاثة: هول اليوم الأول، ثم هول الكارثة والصدمة العدوانية المرعبة ومعدل القتل المهول والإبادة غير المتوقعة (ومن يعتقد أو يقول أنها متوقعة! فلا شك أنه من زمرة المتنبئين أو العرافين!) أما الهول الثالث فهو هولي أنا وهولكم أنتم وهولهم هم!

عاش الفلسطينيون على جناحي الدولة المستقلة والقائمة (لكنها تحت الاحتلال) هول العدوان الفاشي الذي لم يسبق له مثيل بما تعرفونه يوميًا من أحداث يومية.

وعاش متأملًا أو متحملًا أوباكيًا أو صابرًا يدعو ويرجو ويحتسب بما يمكن أن تحسّوه من عيون الأمهات المليئة بالرجاء، وتحجّر الدموع لدى الاطفال ومن تخشّب وجوه الرجال وبكلمات مغمغمة او مدمدمة لمَن ظل منهم على قيد الحياة خاصة في غزة!

لقد كان هولهم وشدتهم في كل شيء، وللمفاجاة على رؤوس الأشهاد!؟

ربما لأول مرة في التاريخ، وفي عصر وسائط التواصل الاجتماعي.

وظهر هول السابحين بين حطام التحليلات الكاذبة والمضللة والتهييج الانفعالي الذي خضع له غالبية الناس الذين لم يعرفوا الى أين يلجأون، فلجأوا لمن يحلل لهم ما يريدونه ليفكّ أزمتهم النفسية الذاتية بالتضامن واستمرار الحياة والانتقام، والدعوات بلا قطران.

الكاتب والهول الثالث

في هول الكاتب عشتُ أنا ولربما عاش من الكتاب ومنكم الكثير هذه المرحلة ما بين أن أكتب واصفًا أو محللًا في بحر المشاعر الثائرة والقلوب المخلوعة والعواطف الجياشة، وبين حواجز العقل وموانعه وتقييداته، والنظرة الواقعية حيث انهياز ميزان القوى، وفي ظل الرغبة بإعلان النظرة الصائبة أو القول المحق والنقد الواجب.

في أتون الهول الثالث شدة وهول صراع النفس حيث دارت معركة أوصراع الأفكار والمراجعات، والنظرة لحقيقية الواقع والمتغيرات الداهمة وغير المتوقعة .

تواصل صراع النفس والعقل في ضرورات كشف الحقائق والنقد، أو الإمساك عن ذلك، لماذا لأن المفاهيم العامة والمشاعر طغت على الحقائق فأمسك البعض وتماهى مع السائد، بمعنى أن يسمع الناس والتيار السائد ما يريد فكتب البعض منتشيًا! والآخر لامباليًا بالثمن الانساني المهول والذي لم يسبق له مثيل في تاريخنا، وكتب بعضهم بما يظنه استمرار لفكرة وآخر وفق رغبته وثالث ضمن مقارنات بين ما سبق وحادث لا مثيل له بالتاريخ ظانًا انطباقات ما كانت ولن تكون !

عشتُ جحيم الصراع بين النفس والانفعالات وبين العقل والتقييدات الموضوعية، ولاأظنني إلا حالة من حالات عانت الأمرين، فمن جهة هي مستفزّة للمشاعر، ومن جهة أخرى واضحة المآل بنظرة واقعية !

الى ما سبق رغب الكثيرون إغماض العين عن حقائق الاختلال الفظيع في مستويات القوة، فنظروا للكارثة والإبادة العالمية لشعبنا بعين الأسطورة والخرافة أو بصورة الرغبة المتخيلة وكأنها أصبحت أو ستصبح الواقع.

يركن السعداء بتصوراتهم الذاتية! للمتخيلات على حساب الحقائق المتغيرة ولربما يلجأ المصارع لعقله لاستجلاب التفسيرات الحضارية المستلة من زوايا التاريخ، أو التفسيرات الدينية ليعقد مقارنات أو يستخدم مقولات وآيات منتزعة من مقامها وسياقها، فيقلص من حقيقة هول الكارثة ومتاملًا نزول الملائكة لتدعم المقاتلين وتعمل على تهدئة روع الأطفال وتعزية الشهداء!

بين مسلك الإفصاح عن حقيقة الرأي وموانع حجم الانفعالات غير المنطقية كانت بالنسبة لي مشكلة! وتهجم عليك الأفكار متتابعة لكنك بالمقابل تجد أن مسؤولية الضمير والكلمة تقف أمامك فأنت تعمل لله سبحانه وتعالى. ونحن كمناضلين أقسمنا لفلسطين والشعب أولًا.

ويتفوق الانتصار للشعب على كل الفصائل فهي طارئة بالتاريخ، وقد تزول وتدول كما الدول ولكن الشعب هو أصل الفكرة ومنها فكرة الثورة أو الجهاد أوالمقاومة أو الكفاح وما الأرض والحفاظ عليها الا لاحتضان الناس وحريتهم، ولست أنت إلا خادم لهذا الشعب.

النفس مثقلة بالكثير والقلم يأبي الحراك، وفي الصمت جحيم كما بالكلمة جحيم! وحجم التعارضات والتناقضات ما بين الأفكار الجائلة في نطاق العقل كثير.

كيف تعاملت مع غزة.

بين هول المباغتة والمفاجأة وهول الرد الصاعق، ثم هول مراجعات العقل خضتُ صراعي الذاتي، فكنت أحيانًا اقترب من الرأي الذي هو حقيقة رأيي أو ما يقترب منه بحذر أو خوف الانفعالات المنفلتة.

ويمكنني تقسيم مراحل وآلية تعاملي مع الحدث الكارثي الأكبر في هذا العصر والكلمة من خلال المعطيات التالية:

1- الخوف

2- الإمساك المؤقت، أو عدم القدرة على التعبير الحر

3- التعبيرالمختلط بين موقفين

4- التنقل بين المدارة، والفكرة العامة، والتفسيرات المفتوحة

5- مراجعات متضمنة الاختلافات والنقد وتفكيك الثوابت وتوسيع مساحة النظر وتنوع القراءات

6- من التردد الى وضوح فكري وأقل منه سياسي

7- المساهمة بتغيير الوعي

أولًا: الخوف:

مما لا شك فيه أن الخوف شعور طبيعي أمام الخطر فلا تقل لي أن مواجهة الأسد الهائج أوالوحش لا يسبقها حالة من الخوف أو الذعر فذلك رد فعل طبيعي كما الحال مع أنواع الخوف الأخرى، ولكن المشكلة تكمن بقدرة التغلب على المخاوف أو معالجتها .

وفي حالة العدوان الهمجي على القطاع كان الخوف أقصد بالكتابة هنا مرتبط بأجهزة الرقابة التي تترصد كل كلمة لك سواء من خلال تطبيق "فيسبوك" الاستخرابي أو من أدوات التنصت العدائية الالكترونية ما يعني أن الحذر هو المقابل للتعامل مع هذا الخوف .

والحذر يشمل طريقة التعبير عن الرأي من جهة واختيار الكلمات من جهة أخرى كما استخدام الجمل المفتوحة أو المشرعة على الاحتمالات، وأيضًا باللجوء للعموميات أو للفكر والفلسفة، وكذلك للأسانيد والمراجع والاستشهادات ودون مبالغة. إن الخوف قد يؤدي للاحجام أو الإمساك عن الكلام أو الكتابة وقد يتحول لعامل تحفيز ولكن بمنطق الاتزان والحذر وتقدير الموقف فأنا أكتب من فلسطين وهي تحت الاحتلال، وعليه يصبح للحذر معنى في ظل نظام صهيوني لا يعترف بالرأي الآخر في حين أنه يقتل الآخر

يوميًا. وهذا الحذر خاصة بالأيام الأولى للعدوان شهر 10 للعام 2023م كان من المتوجب الانتباه له جيدًا فلقد خرجت الأفعى من مخبأها غاضبة ثائرة وبدأت بنفث سمومها في كل مكان.

الخوف من رقابة العدو والحذر، ورقابة العالم الاستخرابي (الاستعماري) في ظل الرغبة بالتعبير عن الرأي الموزون لا يدانيه إلا خوف المزاج الشعبي العام، خاصة وأن التهييج الفضائي كان هو الغالب.

لم تكن المشاهد الكارثية الا زيتًا يُصب على نار القلوب المحترقة أصلًا من احتلال استخرابي/استعماري له من السنوات ما يقارب المئة عام، وعليه لم يكن العربي الحرّ أو الأجنبي الحر أو الفلسطيني ليحتاج إلا لمثل هذا الزيت .

وما كان من أدوات التواصل الاجتماعي الا أن حملت دلاء الزيت فأثارت في القلوب والنفوس الكثير من الحنق والكثير من الألم فهناك من وجد ضالّته وهناك من ضلّ.

عمومًا حاولت في ظل النفوس الثائرة باتجاهات رأيتها خاطئة أن أسير بين أشواك الهيجان والأفكار الناتئة السابحة بين رباعية: التكفير والتخوين والتقبيح والبُغض للمخالف. ولربما نجحت أحيانًا وفشلت في أحيان أخرى، فما أصعب أن تعاكس تيار الجماهير الجارف وراء العواطف المنفلتة، وما أسهل أن تصب الزيت على النار وتصبح محبوب العرب أو محبوب الامة!

ثانيًا: الإمساك المؤقت عن الكتابة

لم أمسك عن الكتابة كليًا ولكن لم أكتب كل ما أريد، فليس كل ما تفكر به يجب أن يُكتب وليس كل ما يُعرف يقال، وليس كل ما يُقال يقال بنفس اللهجة

أو الجُمل بكل آن، وهناك من القول ما يخصّ وفيه ما يعمّ، وفيه ما وجب أن يكون مفتوحًا للتأويلات أو التفسيرات. ومن هنا كان الاحجام يتعارض مع فعل الإقدام ليأتي التوازن ولو على حساب عموم الفكرة وهو ما كان. ومع ذلك فلقد أحجمت عن نشر بعض المقالات ومزقتها أو ألقيتها في سلة المهملات على الحاسوب.

عمومًا لقد أمسكت (امتنعت) عن المواجهة الفضائية فلم أقدم أشرطة، ورفضت اللقاءات المرئية واكتفيت بالكتابة ولربما أبحرت بعيدًا عن السياق السياسي باتجاه الفلسفي أو الفكري ربما لأنه آمن أكثر حيث حدة المواقف السياسية وتقلبها بين الفرقاء .

ثالثًا: التعبير المختلط بين موقفين

في التعبير المشوّش أو المختلط تذوب الفكرة الأصلية بين ثنايا النص الذي يأخذ المعنى الإجمالي أو معنى التعميم او يأخذ المنحى الفلسفي بعيدًا عما يتوقعه الناس من الموقف المباشر (مع أو ضد) وفي التعبير المختلط يبرز النقد لأنني لم أكن أرغب حين النقد لأمر ما يحصل في غزة ببعض المواقف أن أنقدها مباشرة، فلجأت الى ما سبق للأمثلة والنماذج ومقارنتها رغم تأكيدي الدائم أن السياسية مياه جارفة أو هادئة ولكنها أبدًا متحركة قد لا تستجيب للأفكار إن تكلست اوتجمدت.

تشوشت أفكاري أحيانًا حين أصبحت الفكرة واضحة جليّة لديّ، ولكن لا يمكنني التعبير هنا رغم قناعتي بمعاكسة التيار الشعبي المنفعل، وضرورة عرضها وفي ذلك ربح وخسارة غالبًا ما اخترت الامساك والامتناع، أو التعميم كما ذكرت أو دخلت في فناء التشويش الخلفي.

رابعًا: التنقل بين المدارة، والفكرة العامة، والتفسيرات المفتوحة

وربما هذه النقطة بنت سابقتها أو نتيجة لها، وهي في ذلك الى التعميم والفلسفة تتجه كما سبق وذكرنا، لأن بها نشدان السلامة وخصوبة التعبير دون الخوض في تفاصيل الموقف المتوجب اتخاذه ما لا يلقى قبول الغالبية التي تم تجييشها.

خامسًا: مراجعات متضمّنة الاختلافات والنقد، وتفكيك الثوابت وتوسيع مساحة النظر وتنوع القراءات

هنا وفي هذه المرحلة وضّحت ثبات المنهج الكتابي بضرورة النقد والمراجعة. واعتبار ذلك قاعدة لاتنازل عنها، ولم يكن ذلك بشكل مباشر في كثير من الأمور بالبداية، أو بتوجيه الاتهام المباشر لطرف معين، ثم بدأت الكارثة تكبُر والنقد يكبر. وفي هذه النقطة كان العامل الأساس هو النظر في التالي

-نوع ردود الفعل ما بين قبول ورفض وتقديس عاطفي ديني، وعدم الرغبة في قبول ما يجرح الفكرة للآخر! لاسيما أنها أدخلت في مساحة التنزيه الخطر والتقديس العجيب الذي يجب التصدي له.

-حجم الفعل ورد الفعل، حيث توارثت الأقلام المؤيدة لمعركة الطوفان كما أسمتها الدفاع عن الفعل الأول، وعن غياب النظر الواقعي لنتائج الفعل الكارثية المهولة وكأن الفعل مهما كانت نتائجة المهولة على البلد والناس يصبح حالة عصيّة على النقد!؟ ومَن قام بها لسبب اتصالها مباشرة بالعدو! رغم أن القائم بالفعل على شجاعة الفعل الأول، أي فصيل "حماس" له من

الفكر السلطوي والسياسي ما يسعي لتحقيقه جاهدًا ما لم يأخذ في أتونه لا الناس ولا احتلال القطاع وتدميره كليًا.

-المقارنات الظالمة حيث تم الاستناد الجزئي لدى البعض للاقتباس من ثورات حروب ماضية لم يكن الاقتباس صادقًا لاسيما واختلاف الظروف والعوامل الداخلية والخارجية كلها، ولاسيما أن الكارثة أو المقتلة لم يكن أن حصلت لنا منذ النكبة عام 1948 والمقارنات هنا وصاعدًا تبدأ بما يحصل الآن وليس بما حصل.

-سقوط العقل بين براثن الانفعالات العاطفية، ما جعل من قراءاتي تتعدّد وتتنوع لمحاولة الفهم الأعمق فوجدت من اقترب مع مأ أقول وبت أدعو له أي الحرية والعقل والنقد والمراجعات وحق الاختلاف بلا إيذاء

-سوء الإدارة وفقدان القرار المتزن

وفي خضم كتابتي لهذه الورقة قرأت للكاتب صادق عبد الرحمن مقالًا عن الطغيان ومقاومته ما يثري الفكرة هنا إذ قال أن "حماس ليست «ردّ فعل طبيعي» على العدوان، بل هي تنظيم مسلّح لديه حلفاء ومشروع سياسي، وسلطة يمارسها على سكّان قطاع غزة منذ نحو 17 عاماً، ولديه قبل ذلك وبعده داخل غزة وخارجها شبكات وخطابات وسياسات، تعمل عليها قيادةٌ لديها مطامح ومصالح وتكتيكات أوصلتها إلى كسب الانتخابات، وإلى التأثير بقوة في المسارات السياسية لشعب بأكمله ".

سادسًا: من التردد الى وضوح فكري وأقل منه سياسي

كانت البداية مع الخوف من التعبير المكتمل عن الرأي ما أدى في محطات معينة الى الامتناع والإمساك، أو عدم القدرة على التعبير الحر، أو كان من التعبير أن اختلط أو تشوش بين موقفين، ولربما اشتملت بعض الآراء

والمقالات التي طرحتها على حالة من التنقل بين المدارة، والفكرة العامة، والتفسيرات المفتوحة.

أصبح الوضوح النسبي سمة وخاصة فيما يتعلق بنقد بعض مواقف القيادات الوطنية عامة، من جهة، ومواقف قيادات "حماس" الكارثية، واستغلالها لعدد من المفاهيم بشكل خطير ولبعض المصطلحات في ثوب تقديس الذات! وهذا الوضوح النسبي في مقالاتي وإن جاء على جناح الاحترام إلا أنه لقي الهجوم والقباحة والهجوم الشخصي وليس لذات الموضوع المطروح، وإنما كما هي العادة بالشتم والخروج عن أدب وفن الحوار والاختلاف المرتبط مع فريضة التفكر الإلهية.

مع تواصل الحدث واستقرار الفكرة الملحة أي الحق بالحوار والنقد لاي كان ولأي موقف استجابة لمبدأ الحرية التي لا يجب التفريط بها ومنها حرية الرأي ككاتب كانت المراجعات والنقد يتقدم بمواجهة مواقف حركة فتح كما الحال بمواجهة مَن تم تقديس مواقفهم حتى الخائبة أوالبائسة أي فصيل حماس. وعليه كان النقد وحرية القول ضمن المراجعات أساسًا فكك ما اعتبره البعض ثوابتًا وتم توسيع مساحة النظر حتى وصلنا بالنقطة السادسة الى وضوح المنهج الفكري وفي مقدمة لوضوح الموقف السياسي.

سابعًا: المساهمة بتغيير الوعي

كان لابد للكاتب أن يتخذ قراره في سياق تواصل الجهالة، وتواصل افتراض البعض السياسي والإعلامي والجماهيري المنتشر امتلاك الحق المطلق والصواب الأوحد وتواصل التقديس! وكل يغذي الآخر. فكلما زاد عمق الضحالة الفكرية كانت الجهالة نعمة لدى هؤلاء المتحكمين بالعقول، فيرفعون أنفسهم فوق أعناق الناس ليتسيّدوا وكأنهم فصل من فصول النبوة،

المحرم مراجعة أقوالها وأفعالها حتى لو كانت فعلًا زاد على 100 ألف ضحية، وهنا تقع الخطورة وتبرز حالات الاستحمار للناس.

إن حالة الفصل بين المفاهيم والمصطلحات والمواقف وتوضيحها ودرجاتها والفروقات بينها أصبح واجبًا. وهو ما ذكرته وتصديت له وتعرضت له في مقالاتي والتي جمعتها لاحقًا في كتابي الذي سيصدر قريبًا بإذن الله عن النقد والتفكير في ظل الكارثة على أرضنا وشعبنا في فلسطين وغزة.

كان من المتوجب أن يتحث أحدهم خارج نطاق السياسة اليومية القمعية السؤال، والتي يفهمها الكثير ضمن منطق هل توافق على كذا أم ترفض؟ وعليه ناقشت النظرة السائدة والاستغفال فيما هو مثل مصطلحات الشهادة والثورة والمقاومة والتفكير والنقد...الخ.

إن حالة تغيير الوعي السائد في ظل هيجان وتجييش إعلامي وفي ظل نفوس ثائرة وحالات غضب يصبح تعامل مع عكس التيار، كما إن النقد والمراجعات في أتون المعركة أو العدوان عند البعض محرّم من المحرمات حتى لو مات كل الشعب، كما أضافوا للمحرمات منع مناقشة الاستراتيجيات والتكتيكات التي لا يقبل حين التعرض لها الا التصفيق وإعلان البهجة!

لذا وجب التصدي لمناهج التفكير، والانتقال من حالة الخوف والامساك الى حالات التبيّن والتوضيح مساهمة فيما هو حق لا يجوز قط التنازل عنه أي الحرية النضالية، والتي منها ممارسة النقد والنقد الذاتي والمراجعات التي كاد المؤدلجون والتقديسيون لأفعالهم يدفنونها تحت ركام غزة والدماء العزيزة التي نزفت وحيث لا بواكي. 2024/11/6م

شرّ القراءة و الحيوات!

لطالما كانت القراءة واحدة من مهام الانسان اليقِظ عامة، ومنه الكادر السياسي ولطالما كانت تنمية الذات والشخصية، وقدح زناد الفكر والحصول على قدر محترم من المعارف أداة للوعي وامتلاك أطراف الثقافة العامة لأنه بدون الثقافة لا يعلم الثائر والمكافح والمقاوم والمجاهد كيف ينظر شمالًا ويمينًا، بعيون مفتوحة. بل ولا يعلم كيف ينظر بالاتجاهات الستة (أي الأربعة المعروفة، وفوقه وتحته كاتجاهات) ومن هنا يبرز دور المنهج العقلي وأهميته حين النظر والتفكر.

لذاك كانت القراءة في القديم والتراث القومي والديني والحضاري، ومنه في إطار أدبيات المنظمة (التنظيم) السياسي قراءة واجبة ليس للحفظ والتمثل فقط، بل للاستفادة والعبرة وامكانية النقد حيث وجب.

إن المراحل تتغير بأحداث الزمن، والفكر يتغير مع عمق التجربة وعميق القراءة وكثير التفكر والتأمل والتدبر.

ومن لا يتفكر يجلس على جدار التاريخ لا يتخطاه.

أما مَن يتجدد بماء النهر يوميًا فهو القاريء بعمق الذي لا يوفر فرصة للاستزادة، جامعًا بين القديم الثري والمتفاعل، والجديد في المسار أو المسارات والبدائل، وناظرًا أبدًا نحو تطوير ذاته وتحصين موقعه وناهدًا نحو التقدم للأمام.

بالحركة التي انتمى لها غالب الشعب العربي الفلسطيني لأنها منه وله وتشبهه، وهي أمه او اخته كما قال آية الله هاني فحص رحمه الله، نجد التنوع الجميل ونجد التفقّه بالدليل.

ونجد بالمقابل كثير من النباتات المتسلقة والانتهازيين والطفيليات الواجب التصدي لها بلا هوادة بالطريقة المتبعة (داخل الأطر) وحسب تقدير الموقف وميزان الوسيلة.

نجد في حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح الاختلاف الجامع بين يسار ويمين، ومتى ما توقف التنوع وتوقفت تعددية الرأي في المساحة المقبولة عن الظهور، فالتنظيم الى ضمور.

لأنه باحتكاك الافكارالمتنوعة والملونة وصراعها نحو الفوز بالحوار والاتفاق ضمن معادلة الكل المختلف نحو الهدف الواحد تسود القضية وتتعملق الفكرة.

القراءة هي مما لاغنى عنه للإغناء الذاتي والجماعي بكافة الاتجهات، وهي مما لا غنى عنه لتحقيق الفهم المتطور والتحليل وإدراك المتغيرات او المستجدات التي هي من مميزات القائد فمن لا يدرك المتغيرات أو المستجدات هو والعامة صنوان، أو هو واحد ممن سمّاهم علي بن أبي طالب (رض) "الهمج الرعاع" واحد، وما نحن وبحسبه أيضًا الا "متعلمون على سبيل نجاة" ان تركنا الصنف الثالث أي "العلماء" لأساتذتنا بالفكر والسياسة والدين والثقافة والادب والعلوم.

الفكرة هنا أنك بلا قراءة تتأخر، أوتجمد وتتكلس وتصبح مجرد آلة تسجيل تسترجع ما استظهرته الذاكرة دون تغيير أو تعديل، أو إضافات هي يوميًا تضيف الكثير.

إن القراءة حيوات (جمع حياة) الى حياتك وكما كان يبتغي الحصول عليه الأديب والمفكر الكبير عباس محمود العقاد، وحيث يقول الأديب مصطفى صادق الرافعي: "ليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلّة، وفكر واسع، وملكة تقوى على الابتكار، فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه".

لك أن تعلم أن القراءة فيما لا فائدة منه شرّ (كما الحال بالنظر)، والقراءة لكل ما هب ودب وبلا مصدر أو مرجعية واضحة عبث، والقراءة بلا منهج علمي ومرجعية واضحة لديك هدرٌ للوقت.

اختر كتابًا (أو دراسة أو مقالة...) تحبه ويحبك من العنوان والنظر في المحتويات وبعد التصفح الاوّلي، واقرأ متى ما شدّك الكاتب بأسلوبه وجعلك تفكر أو تتأمل، أو تتعجب، أو تبتسم او تبتهج، ولا تركن للأفكار الواردة كمسلمات وإنما اجعلها تدخل في إطار شبكتك ومنخلك (مصفاتك) المرتبط بالعقدي الثابت والوطني الحازم والمنهج الواقعي.

ومن هنا نعيد القول أن القراءة بالقديم والجديد والمقارنات وتعلم الاستظهار للأفكار الهامة، وتعلم الابداع والنقد، وتطوير المنهج العقلي اليوم القائم على التحقق والتمحيص والفرز والتنخيل يعد من أساسيات القراءة الهادفة لمزيد من الوعي واكتساب النور وخاصة في حالة فلسطين وثوارها ومقاوميها الذين يحملون الرواية العادلة بين جوانحهم يقاتلون بها عدو العالم الحر.

الكتابة تكمن لك بين الشجيرات!

الكتابة تعبير انيس عن النفس وخلجات الفكر وعرفان القلب.

قد تكون الكتابة عصيّة أحيانًا متمنّعة تمر عنك بإهمال.

وقد تكمن لك بين الشجيرات أحيانًا فتفاجئك بانهمار غير متوقع.

وقد تكون ملحاحة نتيجة فكرة راسخة او طارئة او نتيجة امهال تعاظم حتى امتلأت فيه الغيوم فامطرت.

وقد تكون الكتابة لحظية التعبير او نتيجة مسار طويل وعمل شاق ثقيل آن اوانه.

والكتابة الملهمة لاتقنع الا بالخروج بعد مرحلة بحث وتبصر وتجميع وتمحيص واختمار ينتج نبيذ القلب وعصارة الفكر في أكواب موضوعة.

والكتابة فعل ظاهر منشور فيما القراءة فعل مستتر مغمور.

وكما ان لا صلاة بلا وضوء فلا كتابة بلا قراءة.

الكتابة استحضار للزمن المنقضي في بوتقة الآني وبرغبة تفعيل تروس المستقبل.

بها تعبر وتضيء او قد تظلم وتحزن وبالقراءة يظهرالسيف ماضيًا ان تم شحذه على قاعدة القراءة العميقة والتفكير اللائق والمنطق الرائق، بالعبارة النابضة الرشيقة والمعطف الأنيق. الكتابة فعلٌ كما القراءة ويتناوبان حياتك-

ومن لم يصل هذه المرحلة أعانه الله- فلا يملان ان يشغلا فكرك فلا تدير الظهر لهما.

ولمن جعل منهما صنعة او شغفًا او امتطاهما لاحسان السرد والعطاء وتحقيق الابداع فلقد فاز. القراءة بلاقرار ومهمتك السعي بكل السبل للاقتراب منه.

والكتابة فعل فناء في افكار الاقتراب لعلك تجد ما يرضي سعيك الدائم نحو الاثمار.

عندما جلست أكتب، ويوميًا ما أفعل هذا الطقس، كتبت:
إن من أشد أسراري هي حواراتي التي ما كانت تنتهي إلا لتبدأ في محطة أخرى، وعليه فإن روحي المتحفزة أبدًا، ونفسي الطموحة، وعقلي الذي لا يتوقف عن الكلام، وتوْقي الأبدي لجذب انتباهه هو كان محرّكي الكبير، وعامل حَثّي وحافزي على الفهم والدرس والتطوير.

إن علاقتي به علاقة متأزمة أصلًا، فالفارق كبير بالمنهج والتفكير والفهم، ومازومة دومًا، وفي الأزمة هذه من الرغبة غير المُلباة كانت الفرصة التي فتحت لي أبوابًا لم أكن لأطرقها في عقلي أو بين أحضان الكتب لولاهُ، هل تصدق ذلك؟

دار الأمين للنشر والتوزيع